فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوى و«مناراً» كمنار الطريق

غرة رجب سنة ١٣٥٨ هـ — أغسطس سنة ١٩٣٩ م

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(٢) «اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ»

أكدت الآية الكريمة الاولى فى أول السورة صدق القرآن وأحقية ما نزل على النبي ﷺ من ربه وإن أعرض أكثر الناس عن الايمان به . وفى هذه الآيات الكريمة بيان لأول ما يجب أن يؤمن به الناس ويعتقدونه ويصدقوا بأحقيته وذلك هو الايمان (بالله) فمعرفة

الله والايمان به أول ما يجب أن تتوجه اليه الهمم وتمنى به النفوس وقد سلكت الآيات الكريمة بالناس إلى هذا الايمان أقوم السبل وهى سبيل التفكر فى مخلوقات الله وعجائب صنعه من رفع السموات وتسخير الكواكب والاجرام وتدبير الأمور والشئون وتصريف الايات والعبر ومد الارض وبسطها وإمدادها بما ينفع أهلها من الجبال والانهار والنبات والجنات على نسق رائع بديع هو الآية فى الاعجاز وصدق التصوير والاستيلاء على المشاعر والقلوب

(الله) أكبر أسماء الخالق سبحانه وتعالى وأجمعها لا يثنى ولا يجمع والألف واللام من بنيته لم تدخلا عليه للتعريف اذ هو أعرف المعارف قال الخطابى والدليل على ذلك دخول حرف النداء عليه كقولك يا الله وحروف النداء لا تجتمع مع الألف واللام ألا ترى أنك لا تقول يا الرحمن ولا يا الرحيم كما تقول يا الله فدل على أنهما من بنية الاسم (الله) اسم كريم للموجود الحق البارى الخالق المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد بالوجود الحقيقى لا اله الا هو سبحانه ـ ولا تظن أننى أحاول بذلك الشرح أو التفسير فكمالات الحق تبارك وتعالى فوق هذا ولكن أريد أن ألخص لك رأى الاسلام الموجز الحق الذى يشبع الروح ويطمئن القلب فيما يجب على المسلم أن يعتقده فى ذات الخالق جل وعلا وصفاته مستغنٍ بالقليل عن الكثير فاعلم أن الاسلام قد أجمل ذلك فيما يأتى

أولا — عدم التعرض للحقيقة والماهية من حيث هما مع التنبيه على المخالفة التامة بين ماهية الاله وماهية الخلق . يقول القرآن « ذلكم

الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » سورة الانعام الايات ن ١٠٢ ، ١٠٣ ، وهو بذلك يشير الى الكف عن التعرض للماهية ، ويقول أيضاً « فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » سورة شورى الاية ن١١ ، وهو بذلك يشير الى المخالفة التامة بين الخالق والمخلوقات جميعا. وفي الحديث : « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » (١) . ومن البدهي أن هذا الموقف لا يؤخذ على الاسلام في شيء فان العقل البشري وهو عماد

(١) الحديث ورد بألفاظ يتفق معناها ، قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الاحياء . رواه أبو نعيم في الحلية بالمرفوع منه باسناد ضعيف ، ورواه الاصبهاني في الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه . ورواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر . وقال هذا إسناد فيه نظر — قلت فيه الوازع بن نافع متروك اه . زاد الترمذي في الشرح قلت حديث ابن عمر لفظه « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر وأبو الشيخ في العظمة ، والطبراني في الأوسط وابن عدي وابن مردويه والبيهقي وضعفه والاصبهاني وأبو نصر في الابانة وقال غريب ورواه أبو الشيخ من حديث ابن عباس « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره » . ورواه ابن النجار والرافعي من حديث أبي هريرة : « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله » الخ وتعدد هذه الروايات واجتماعها يكسبها قوة والمعنى صحيح كما قال الحافظ السخاوي في المقاصد اه . نقلا عن تعليق صاحب المنار على رسالة التوحيد .

المقيدة فى الاسلام يقف الى الان موقف العجز المطلق أمام حقائق الاشياء جميعا وكل الذى وصل اليه إنما هو الخواص والصفات والاثار أما الحقائق والبسائط المجردة فلم يصل اليها بعد. وما كان الاسلام ليكلف الناس ما لا تستطيع أن تدركه العقول والافهام :

ثانيا — التوصل الى معرفة صفات الآله وادراك كمالات الالوهية ومميزاتها عن طريق النظر في الكون نظراً صحيحاً وتحرر العقول والافكار من الموروثات والاهواء والاغراض حتى يصل الى الحكم الصائب. والقرآن مملوء بالحث على النظر في المكونات والتأمل فى المخلوقات وقد ذكر العقل فى القران الكريم فى أكثر من أربعين موضعاً مقروناً بالتبجيل والتكريم والحث على الجد والعمل فى ادراك الحقائق والسير فى سبيل كشف مستوراتها وذلك من مثل قوله تعالى « إن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » سورة البقرة الاية ١٦٤

ومن مثل قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء » سورة فاطر ٣٧ فهو فى هذه الآية يحض على اكتشاف غرائب النبات والحيوان والجماد بأقسامه ثم يرتب على ذلك

الخشية من الله لما بين معرفة الكون ومعرفة مكونه من صلة ومن مثل الايات الكريمة التى نحن بصددها من سورة الرعد

ثالثا ـ إثبات صفات الكمال للخالق نتيجة للنظر فى هذا الكون فالله موصوف فى الاسلام بالوجود وبالعلم وبالقدرة وبالحياة وبالسمع وبالبصر وبالجمال وبالحكمة وبالارادة الخ مع الاقرار بأن كيفياتها وحدودها مجهولة ضرورة الجهالة بذات الله تعالى ولكنا نعلمها علم اليقين من وضوح آثارها فى هذا الكون البديع الصنع فالخالق حكيم لما يجتلى فى كونه من أسرار حكمته وقادر وعالم بأجمع معانى العلم والقدرة لأن هذا الكون البديع لا يكون الا عن علم واسع وقدرة محيطة وهكذا . والقران يعدد هذه الصفات فى كل المناسبات مثل قوله تعالى « هو الأول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » سورة الحديد ٣ ـ ومثل سورة الاخلاص وهكذا

رابعا ـ نفى صفات المشابهة والنقص عن الخالق . فالتجسيم منفي عنه لأن المادة تتحول والخالق لا بد أن يكون ثابتا والتثليث منفى عنه لأنه تركيب والاله لا بد أن يكون واحدا والأبوة والبنوة منفصلان عن صفات الخالق لأنهما تجزئه والخالق لا يتجزأ وهكذا والقران يقرر هذا ويجادل عنه فى منطق دقيق وحجة قوية من مثل قوله تعالى (أم اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما الهة إلا الله لفسدتا الخ)الانبياء ايات ٢٢ ـ ٢٩ ومن مثل قوله (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ـ الى قوله تعالى ـ ما اتخذ

الله من ولد وما كان معه من إله اذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) المؤمنون الايات ٨٤- ٩٢ وقل مثل ذلك فى نفى التثليث وغيره من عقائد الأمم السابقة جميعا

خامسا ـ تقوية الصلة بين الوجدان الانسانى والخالق حتى يصل الانسان بذلك الى نوع من المعرفة الروحية هو أعذب وأصدق أنواع المعرفة جميعا وذلك أن الوجدان الانسانى أقدر على كشف المستورات غير المادية من الفكر المحدود بقيود المادة والارتقام فالاسلام كثيرا ما يخاطب الوجدان ويستثير الخواص النفسانية الكافيه فى الانسانية لتتصل بالله تبارك وتعالى وتسمو الى حظائر الملأ الأعلى. يقول القران الكريم (الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) سورة الرعد اية ٢٨ وفى ذلك يقول أحد الفلاسفة الكونيين (إن ضمائرنا قد شهدت لنا بوجود الله قبل أن تشهد به عقولنا) ويصور القران هذا المعنى فى الاية الكريمة (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا) الاسراء اية ٩٧

هذه الصلة الخفية بين الضمير الانسانى وبين الخالق التى تبدو في غاية الوضوح والجلاء عند الشدائد التى تنقطع فيها الامال هى التى يعمل الاسلام كثيرا على أن تكون ضوءا يتعرف به الانسان خالقه العظيم سبحانه وتعالى

سادسا ـ مطالبة المؤمنين بأن تظهر عليهم نتائج هذه العقائد

العمليه فالمؤمن إذا اعتقد أن ربه قادر كنت نتيجة هذه العقيدة العملية أن يتوكل عليه ويلجأ إليه وإذا اعتقد أنه عالم راقبه واستولت عليه خشيته وإذا اعتقد أنه واحد لم يدع سواه ولم يسأل غيره ولم يصرف وجهه إلا إليه وحده وإذا اعتقد أنه عظيم عظمه فخافه وأحبه وهكذا وقد أشارت الى ذلك الآيات الكريمة فى كثير من المواضع قال تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم اياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقالهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) سورة الأنفال الايات ٢ . ٤ والايات فى هذا المعنى كثيرة فى كتاب الله تبارك وتعالى وكل عقيدة لا تنتج أثرها ولا تحمل صاحبها علي مستلزماتها فهي عقيدة واهية ضعيفة لاتؤدى إلى الايمان الكامل الصحيح

ولعل من تمام هذا البحث أن أنقل لك بعض عبارات المؤمنين الصادقين فى التعريف برب العالمين جلت ذاته وتقدست صفاته . سأل ذعلب اليمانى عليا كرم الله وجهه فقال هل رأيت ربك ياأمير المؤمنين ؟ فقال رضى الله عنه أفأعبد ما لا أري فقال السائل وكيف تراه؟ فقال : (لاتدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان قريب من الأشياء غير ملامس بعيد عنها غير مباين متكلم لا بروية مريد لا بهمة صانع لا بجارحة لطيف لايوصف بالخفاء كبير لا يوصف بالجفاء بصير لا يوصف بالحاسة رحيم لايوصف بالرقة تعنو الوجوه لعظمته

مخافته ومن كلامه رضى الله عنه فى هذا المعنى (لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا أجل ممدود. أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصـــديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له) اه من نهج البلاغة (١)

وسئل بعض العلماء عن صفته تبارك وتعالى فقال (هو الواحد المعروف قبل الحدود والحروف) وسئل آخر عن التوحيد ما هو فقال (ان تعلم أنه غير مشبه للذوات ولا منفى الصفات) ومن أحسن ماقيل فى التنزيه قول بعض الصالحين (تنزه ربنا عن أحوال خلقه فليس له من خلقه مزاج ولا فى فعله عـــلاج باينهم بقدمه كما باينوه بحدوثهم ان قلت متى فقد سبق الوقت كونه وان قلت هو فالهاء والواو خلقه وإن قلت أين فقد تقدم المكان وجوده معرفته توحيده وتوحيده تمييزه من خلقه ما تصور فى الأوهام فهو بخلافه فالذى يظنر الوهم به يرتقى التصوير اليه لا تماثله العيون ولا تقابله الظنون علوه من غير توقل ومجيئه من غير تنقل «هو الأول والاخر والظاهر والباطن ليس كمثله شىء وهو السميع البصير»

«الذى رفع السموات بغير عمد ترونها» يحسن قبل الكلام عن

(١) فى نسبة ما جاء فى نهج البلاغة لعلي رضى الله عنه الخلاف المعروف بين الادباء وسواء أكان هذا القول من كلام على رضى الله عنه أم من كلام الشريف فمعناه من حيث تعظيم الله وحسن الثناء عليه رائع بديع

رفع السموات ومايليه من ايات الكون . فى هذه الايات البينات أحب أن الفت النظر الى أصلين مهمين (أولهما) حكمة ذكر المظاهر الكونية فى القران الكريم (وثانيهما) معرفة مدى ما وصل اليه العقل الانسانى فى تعرف حقائق هذه المظاهر

لماذا نذكر هذه المظاهر الكونية فى القرآن الكريم

جاء فى القرآن الكريم ذكر السموات والأرضين والشمس والقمر والسحب والأمطار والنبات والحيوان وعجائب الخلق وغرائب المكونات فى كثير من المواطن فهل يريد القرآن بهذا أن يتناول هذه النواحي بالتحليل العلمى فيوضح للقارئين ما هيتها وكنهها وعناصرها وأجزاءها ويبين لهم طبائعها وخواصها ويكشف لهم عن أسرار نواميسها وحقيقة قوانين سيرها ووقوفها ونموها وضعفها — أم أن القرآن الكريم يعرض لكل هذه الظواهر الكونية لغرض آخر غير هذا التحليل العلمى ويدع هذا التحليل لوقته والظروف الملائمة له عند ما تتهيأ العقول البشرية لقبوله وإدراك غوامضه وأسراره؟

لا شك أن القرآن الكريم لم يجىء ليكون كتاب فلك ولا هيئة ولا كيمياء ولا هندسة ولا لغير ذلك من الشئون التى تتناولها العلوم الكونية البحتة . وإنما جاء ليكون كتاب هداية وإرشاد وتطهير النفس البشرية وسمو بها الى الكمال الممكن اللائق بجمالها وايضاح وتقوية للصلة بين الخالق والمخلوق وبين المخلوقين بعضهم وبعض وتقرير

للحقوق والواجبات وتفصيل للمصالح والمضار فى المأمورات والمنهيات التى تتصل بسعادة الناس فى معاشهم ومعادهم . وإن أشار فى كثير من الأحيان الى دقائق العلوم الكونية . وعجائب النواميس التى تسير عليها المخلوقات . وانما جاء القرآن كذلك لحكم جليلة (منها) أنه إذا تناول حقائق العلوم والمعارف الكونية بالشرح والبيان . فقد قطع على العقل البشرى سبيل الرقى وحرمه لذة الجهاد العلمى ونفى على استقلاله وحريته بالجمود والخمود ولم يبق للعلماء فضل على الجهلاء وكان الناس فى المواهب سواء فلم تشهد الانسانية الا جيلا واحدا ثم يقضى عليها بعد ذلك بالفناء (ومنها) أن طبيعة العقل البشرى فى نشوئه وتكوينه لا تقبل هذه الطفرة ولا تحتملها ، وإنما يسلك العقل البشرى فى النوع الانسانى مسلكه فى الفرد والواحد له أطوار وأدوار فهو ينشأ ضعيفاً لا يكاد يدرك ما حوله ثم تتسع أمامه آفاق الادراك وحدوده فلا يزال يتعلم فيعلم حتى يبلغ أقصى قوته ويأخذ من المعرفة بالنصيب الذى كتب له وأنت إن فاجأته وهو فى دور طفولته وضعفه بما لا يستطيع ادراكه ولا يقوى على اكتناه ما هيته آذيته وشردته وأضللته وقذفت به فى مهاوى الفتنة والشك والارتياب وتصور أن طفلا سألك عن قوانين التيار الكهربائى كيف يتولد وكيف يسير وكيف تتحرك به القوى العظيمة وتشتعل بضوئه المصابيح القوية على البعد والقرب سواء أو سألك عن أوجه القمر فى نشوئه هلالا ثم أكتماله بدرا ثم عودته بعد ذلك من الكمال الى النقص حتى يختفى جرمه ويخبو

نوره أو سألك عن البخار كيف يدير البواخر ويحمل على الماء الأعلام المواخر أتستطيع أن تتبسط فى شرح ذاك لطفل صغير لم يتلق مبادىء هذه العلوم ولم يستق بعد من معين هذه المعارف ؟

كذلك العقل الانسانى فى نشأته وأدوار حياته وأطوار نموه دائم الرقى والاكتمال بحسب مايكتسب من المعارف المتجددة والتجارب المتكررة المتعددة . وما كان للقران — وهو كتاب العصور كلها والأمم كلها والعقول جميعاً — أن يتناول من علوم الكون الا ما يتفق مع مدركات هذه العقول ثم يدع لرقيها الفكرى الكشف عما سوى ذلك بحسب قوانين النمو والارتقاء وذلك من أدب الاسلام فى التعليم ومن سننه فى ارشاد الناس الى حقائق المعارف . روى البخارى فى صحيحه عن على كرم الله وجهه (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله) وروى مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال (ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة)

ومن هنا نستطيع أن نفهم السر فى اجابة القران الكريم للسائلين عن أوجه القمر بصرفهم عن السؤال ولفت أنظارهم الى فوائد ذلك ومزاياه (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)

(ومنها) أن القرآن الكريم لو عرض لبيان هـذه الشئون كلها واستوعب حقائقها وتفصيلاتها لصعب على النـاس حفظه ولمضت الأزمان الطويلة دون استيعابه نزولا أو معرفة ولنسى الناس هديه وارشاده فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا . ولقد يسره الله تعالى

وسهله ليكون ذلك أدعى الى تذكره وأقرب للوصول الى مقاصده والعمل بما فيه (ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر)

تلك هى بعض الحكم التى من أجلها لم يتناول القران الكريم حقائق العلوم الكونية بالتفصيل والتوضيح وترك ذلك للعقل البشرى يرقى اليه ببحثه المتواصل ويتذوق لذة معرفته بكفاحه وجهاده وهناك حكم أخرى لا نطيل القول فيها وحسبك من القلادة ما أحاط بالجيد والكلام فى أسرار كتاب الله ذا سعة

ومن ذلك نستطيع أن نقول ان القران الكريم جاء بهذه الظواهر واستعرضها وعرضها على الناس فى كثير من المواضع لغرض واحد هو العبرة والعظة ولفت العقل والقلب الى ما فيها من جمال وروعة ورقة واعجاز وابداع لا يكون الا عن صانع حكيم متصف بالكمالات كلها لا يلحقه نقص ولا يناله قصور جل وتنزه عن ذلك وتعالى علوا كبيرا . يسوق القران كل ذلك ليكون سبيلا الى معرفة الخالق والايمان بالله . وفى الوقت الذى يقصد فيه الى هذا المعنى نجد أن فى ذكر هذه المخلوقات ولفت الانظار اليها ومطالبة الناس بالتفكير فيها والتصريح بعلو منزلة العلماء بها دفعا بكل مؤمن أن يتعلم وأن يحيط بأسرار هذا الكون العجيب .

ذلك مع الاشارات اللطيفة الى بعض الحقائق الدقيقة التى تعنو لها عقول الخاصة وتنحنى أمامها هام الفطاحل من الراسخين فى العلم يتلوها عليهم أمى كريم لم يدخل جامعة علمية ولم يتعلم فى مدرسة كذكر

ناموس التلقيح (وأرسلنا الرياح لواقح) وذكر ناموس التقدير فى المخلوقات (إنا كل شىء خلقناه بقدر) وغيرها من النواميس

والعجيب فى شأن القرآن الكريم أنه حين عرض لهذه المكونات ساق الكلام عنها فى مساق غريب وأسلوب مدهش معجز حقا يساير تمام المسايرة الادراك الفطرى ويتفق تمام الاتفاق مع التحليل العلمى والبحث الفلسفى المنطقى فهو يجمع بين الشعر والمنطق ويغذى العاطفة والعقل ويرقى الشعور والفكر ويستولى على الارادة كل الاستيلاء ويفيد هـذا وذاك الأثر المقصود والعزة المنشودة وذلك من أسرار الاعجاز التى انفرد بها القرآن الكريم وامتاز بها كلام الخالق العليم عن كلام المخلوق القاصر العاجز

تقرأ مثل قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صـــدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء) فتصور هذه الآية الكريمة فى النفس العادية ذلك المعنى الفطرى السهل وتمثل لها ذلك الضال رجلا منهوكا متعبا قد بهرت أنفاسه وتقطع نياط قلبه مما حمل من اعباء الضلال كأنما عليه أن يقاسى فى مرارة متجددة هول صعود السماء والاية بهذا المعنى الفطرى تحدث فى تلك النفس العامية ما قصدت اليه من تأثير فى تقبيح صورة الضلال والابعاد عنه وهذه الاية نفسها تثير فى النفس العلمية ذلك المعنى الكونى الذى أيده البحث وأثبته العلم من تخلخل طبقة الهواء كلما علا الانسان عن سطح الأرض وفناء عنصر الاوكسجين منها وهو العنصر الصالح للتنفس

فتنقطع بذلك أنفاسه ويقف عن التنفس صدره فيزول عنه معنى الحياة جملة بل ان الضغط الهوائي ليختل توازنه على جنبات جسمه باطنها وظاهرها تتنفجر عروقه ويسيل في الفضاء دمه مهدورا والآية بهذا المعنى العلمي تحدث الاثر المقصود لها كذلك من تقبيح صورة الضلال وابعاد الناس عنه

هذا معنى من معانى الاعجاز لم يتفق لغير القران الكريم ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا

وأسوق لك هنا بمناسبة هذا البحث ما ذكره الاستاذ الامام عند تفسير آية الأهلة فى بيان موقف الوحي من العلوم (١) قال رحمه الله (العلوم التى نحتاج اليها فى حياتنا على أقسام — منها ما لا نحتاج فيه الى أستاذ كالمحسوسات والوجدانات فهذا هو (القسم الاول) ومنها ما لانجد له أستاذا لانه مما لا مطمح للبشر فى الوصول اليه البته وهو كيفية التكوين والايجاد الاول المعبر عنه بسر القدر — يمكن للنباتى أن يعرف ما يتكون منه النبات وكيف ينبت وينمو ويتغذى وللطبيب أن يعرف كيفية تولد الحيوان والأطوار التى يتدرج فيها مذ يكون نطفة الى أن يكون انسانا عاقلا مستقلا ولكن لا يعرف نباتى ولا طبيب كيف وجدت أنواع النبات وأنواع الحيوان أو مادتهما لأول مرة

(١) راجع تفسير المنار ج ٢ ص ١٩٨

ولا كيف وجد غيرها من المخلوقات ومن هنا كانت العلاقة بين الخالق والمخلوق من هـذه الجهة . جهة الايجاد والخلق . لا يمكن اكتناهها وكذلك لا يمكن اكتناه ذات الله تعالى وصفاته وهذا هو (القسم الثانى) ومنها ما يتيسر للناس أن يعرفوه بالنظر والاستدلال والتجربة والبحث كالعلوم الرياضية والطبيعية والزراعية والصنائع والهيئة الفلكية ومنها أسباب تطور الهلال وتنقله من حال الى حال وهذا هو (القسم الثالث) ومنها ما يجب علينا للخالق العظيم الذى أودع فطرنا الشعور بسلطانه وهـدى قلوبنا الى الايمان به بما نراه من آياته فى الآفاق وفى أنفسنا فان هذا الشعور وهذه الهداية مبهمان لا سبيل لنا الى تحديدهما من حيث ما يجب اعتقاده فى الله تعالى وفى حكمة خلقنا ومراده منا وما يتبع ذلك من أمر مصيرنا ومن حيث ما يجب له من الشكر والعبادة وهذا ما لا سبيل الى معرفته بطريق صناعى أو كسب بشرى فقد وقعت الأمم فى الحيرة والخطأ فى مسائله لجهلهم بالصلة والنسبة بين المخلوق والخالق فمنهم من وصفه تعالى بما لا يصح أن يوصف به ومنهم من توهم أن أعمالنا تفيده أو تؤلمه وأنه ينعم علينا أو ينتقم منا بالمصائب لأجل ذلك . ومنهم من توهم أن الحياة الاخرة تكون بهذه الاجســـاد والجزاء فيها يكون بهذا المتاع فاخترعوا الأدوية لحفظ أجسادهم ومتاعهم (١) . واذا كان الانسان عاجزا عن تحـديد ما يجب

---

(١) والذى يؤخذ على هؤلاء قصور ادراكهم عن امكان الاعادة بعد التحليل فى الأجساد والمساواة بين نعيم الدنيـا والآخرة مع أنه لا نسبة بينهما فنعيم

عليه ويحتاج اليه من الايمان بالله وبالحياة الاخرى وما يجب عليه في الحياة الأولى شكرا لله واستعدادا لتلك الحياة لان الحواس والعقل لا يدركان ذلك فلا شك أنه محتاج الى عقل اخر يدرك به ما يعوز أفراده من هذه الامور وهذا العقل هو النبي المرسل . وهذا هو (القسم الرابع) وبقي (قسم خامس) وهو ما يستطيع العقل البشرى إدراك الفائدة منه ولكنه عرضة للخطأ فيه دائما لما يعرض له من الاهواء والشهوات التي تلقي الغشاوة على الابصار والبصائر فتحول دون الوصول الى الحقيقة أو تشبه منافع الضار وتلبس الحق بالباطل ومثال ذلك السعاية يدرك العقل ما فيها من الضرر والقبح ولكنه اذا رأى لنفسه فائدة من السعاية لشخص يزينها له هواه ويراها حسنة من حيث هو يخفى عليه ضررها لذاتها . وكذلك شرب الخمر والحشيش قد يعرف الانسان مضرتها في غيره ولكن الشهوة تحجبه عن إدراك ذلك في نفسه فيؤثر حكم لذته على حكم عقله الذى ينهاه عن كل ضار فصار محتاجا الى معلم اخر ينصر العقل على الهوى ووازع يكبح من جماح الشهوة ليكون على هدى

فما يمكن للانسان أن يصل اليه بنفسه لا يطالب الانبياء ببيانه ومطالبتهم به جهل بوظيفتهم وإهمال للمواهب والقوى التي وهبه الله إياها ليصل بها الى ذلك ، وكذلك لا يطالبون بما يستحيل على البشر الوصول اليه كقول بعض بني اسرائيل لموسى « لن نؤمن لك حتى نرى

الآخرة أجل وأعظم من أن يقاس بهذا المتاع الفاني مهما بالغ الناس في المحافظة عليه

الله جهرة » وأما ما كان إدراكه ممكنا وكسبه بالحس، والعقل متعذرا أو تحديده متعسرا فهو الذي نحتاج فيه إلى هاد مخبر عن الله تعالى لنأخذ عنه بالايمان والتسليم ولذلك قلنا ان الرسول صلى الله عليه وسلم عقل الامة .

لو كان من وظيفة النبي أن يبين العلوم الطبيعية والفلكية لكان يجب أن تعطل مواهب الحس والعقل وينزع الاستقلال من الانسان ويلزم بأن يتلقى كل فرد من أفراده معلوماته بالتسليم ولوجب أن يكون عدد الرسل في كل أمة كافيا لتعليم أفرادها في كل زمن كل ما يحتاجون اليه من أمور معاشهم ومعادهم وإن شئت فقل لوجب ألا يكون الانسان هذا النوع الذي نعرفه

نعم ان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ينبهون الناس بالاجمال إلى استعمال حواسهم وعقولهم في كل ما يزيد منافعهم ومعارفهم التي ترتقي بها نفوسهم، لكن مع وصلها بالتنبيه على ما يقوى الايمان ويزيد في البصيرة اه

ونستطيع بعد ذلك أن نلخص موقف القرآن من العلوم الكونية العصرية وغير العصرية ما سبقها أو ما سيلحقها أو موقف هذه العلوم من القرآن الكريم في هذه النقاط ..

(١) ليست مهمة القرآن شرح بحوث هذه العلوم تفصيليا وانما ترك ذلك للعقل الانساني يكشف في كل طور من أطوار رقيه وكماله

جزءا منه يتناسب مع مقدرته وما أتيح له من وسائل البحث والادراك السليم

(٢) إنما عرض القرآن لما عرض له من هذه البحوث تنبيهاً لما فيها من دقة الصنع وجمال الابداع ليكون ذلك حافزا إلى معرفة الله وصدق الايمان به كما يكون حافزا الى دوام البحث والنظر كذلك

(٣) ان هذا لم يمنع القرآن الكريم من أن يتعرض لكثير من النواميس الدقيقة فى هذه العلوم ارشاداً للخاصة من الناس واثباتاً لنسبة هذا الكتاب الكريم الى العليم الحكيم

(٤) كان أسلوب القرآن فى التكلم عن هذه المظاهر الكونية أسلوبا معجزا حقا .. فيه إجمال وفيه دقة وفيه وضوح الى جانبيهما ، فهو يرضى النفس الفطرية كما يشبع نهمة الفكرة العلمية كما لا يمكن أبدا أن يصطدم فى مرونته وسعة معانى ألفاظه بنتائج البحث العلمى أياً كان فى أى عصر من العصور ، وهذا من أبلغ وجوه اعجاز القرآن

(٥) ان القرآن بهذا الأسلوب فارق ما فى أيدى الناس مما يزعمونه التوراة والانجيل فقد امتلأت بالتفريعات الدقيقة لهذه العلوم والتفصيلات الشاملة للتحدث عن كل مظاهر الكون والتصوير المادى لكل ما فيه فكانت نتيجة ذلك أن اصطدمت هذه الصور والأحكام بنتائج البحوث العقلية الثابتة فسقطت قيمتها العلمية فى نظر الكونيين سقوطا لاقيام لها بعده ، وكانت عن ذلك الخصومة الحادة التي ذهب ضحيتها كثير

من العلماء أمثال غاليليو وغيره وانتهت بأن قبع الدين فى زوايا الكنائس والاديرة وليس في القرآن الكريم شيء من هذا كله وهو قد ساير العلوم والمعارف منذ نزل على قلب محمد ﷺ فأشرقت الدنيا بنوره الى الآن فلم يصطدم بنظرية علمية صحيحة ولم يخالف حقيقة كونية ثابتة ولم يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه ذلك لأنه تنزيل من عزيز حكيم

(٦) والنتيجة من هذا البحث أنه لا يصح للمسلم أن يعترض نصوص القرآن بنتائج هذه العلوم فان من هذه النتائج ما لم يثبت بعد ومنها ما توهم العقل البشري ثبوته فى عصر ثم نقضه أشنع النقض فى عصر آخر وتلك طبيعة الترقى العلمى كما سترى فى الفصل الذى يلى هذا! وفى التفسير الذى يجمع بين الايمان بالنص وإرضاء نتائج البحث الصحيح مندوحة، بل مخارج كثيرة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فلا يجوز للمسلمين أن يقفوا عن البحث العلمى فى مستورات الكون وخفاياه اعتمادا على ما جاء فى القرآن من ذلك، ولاسيما والقرآن نفسه مملوء بالحث على النظر فى الكون ووجوب الازدياد من العلم — وقل رب زدنى علما — ولعلك بعد ذلك تدرك سر هذه الآية الكريمة مع قوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم — فالأولى حث على تعرف ما تمكن معرفته مما هو فى حيز البحث العلمى والثانية نهى عن مزاولة ما لا يمكن الوصول اليه حتى تنصرف الجهود للنافع

الى أى مدى وصل العقل فى العلوم الكونية ؟

يحسن بعد هذا البحث أن نجيب على هذا السؤال ليعلم المغرورون بنتائج البحث العلمى الى أى مدى وصل العقل الانسانى فى حل مشكلات الكون وكشف مستوراته ؟ وسنورد فى هذا البحث بعض الشواهد من كلام علماء الكون غير المسلمين ونعتذر عن ذلك مقدما . فلسنا فى حاجه الى تأييد كتاب الله تبارك وتعالى بغير ما هو فيه ولكننا قصدنا بذلك الى أمرين ، أولهما انتزاع الدليل من غير المؤمنين بالقرآن ليكون ذلك أبلغ فى الفضل وأقوى فى الاستدلال . والفضل ماشهدت به الأعداء ، وثانيهما . إقناع المغرورين بعلوم الفرنجة المفتونين برقى أوروبا المادى أعظم الفتنة إذا عرفوا أن أساتذتهم قد أعلنوا العجز واعترفوا بالقصور وطامنوا من غرورهم وخفضوا من حدة تعصبهم لما لا يعلمون والله الهادى الى سواء السبيل .

لقد أتى على الناس زمان توالت فيه الكشوف العلمية المادية ولمس الناس آثارها العملية فى مجرى حياتهم الدنيا . وظن علماء الكون أنهم وصلوا الى لب الحقائق وابتكروا من النظريات والقواعد ما يستطيعون به تفسير كل المظاهر الكونية . وأعلن كثير منهم فى ذلك الوقت تبرمه بالأديان وأهنها والعقائد ومعتقديها وطغت موجة من الالحاد على العقول

والأفكار ثم لم تلبث هذه الموجة أن انحسرت أمام ما تجلى لهؤلاء العلماء أنفسهم من عظمة الكون، وأمام ما انكشف لهم من النواميس التى هدمت ما اطمأنوا اليه من قبل وما اعتقدوا أنه الحق فطامنوا من غرورهم واعترفوا بقصورهم وأعلنوا هذا العجز التام. وواصلوا بحوثهم فى تواضع وأدب

ذلك أمر طبيعى فان هذا العقل السائح فى ملكوت الله لا يستطيع أن يكشفه جملة ولا أن يصل الى مكنوناته طفرة فهو لا بد أن يبلغ المدة التى كتبها الله له باحثا منقبا ولا بد أن يصل الى الحقائق متدرجا ولا بد أن يخطىء مرة ويصيب أخرى فيتلقى عن الخطأ درسا ويكشف بالصواب حقيقة وهكذا دواليك. على أن العقل مهما بلغ من الكمال فهو لم يصل بعد الى حقيقة شىء من الأشياء إنما كل ما ظفر به بعض العوارض والصفات التى تنفع الناس. أما حقائق البسائط المجردة فهو لم يصل الى شىء منها بعد. وأغلب الظن أن ذلك ليس من شأنه ولا مما يعنيه وانما هو سر الخالق الذى استأثر الله بعلمه

واليك بعض أقوال ملى الكون فى ذلك نستفتحها بقول الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى رسالة التوحيد فى هذا المقام :

(اذا قدرنا عقل البشر قدره وجدنا غاية ما ينتهى اليه كماله إنما هو الوصول الى معرفة عوارض بعض الكائنات التى تقع تحت الادراك الانسانى حسا كان أو وجدانا أو تعقلا ثم التوصل بذلك الى معرفة

مناشئها وتحصيل كليات لانواعها والاحاطة ببعض القواعد لعروض ما يعرض لها . وأما الوصول الى كنه حقيقتة فما لا تبلغــه قوته لأن اكتناه المركبات انما هو باكتناه ما تركبت منه وذلك ينتهى الى البسيط الصرف وهو لاسبيل الى اكتناهه بالضرورة وغاية ما يمكن عرفانه منه هو عوارضه وآثاره . خذ أظهر الاشياء وأجلاها كالضوء..قرر الناظرون فيه له أحكاما كثيرة حصلوها فى علم خاص به ولكن لم يستطع ناظر أن يفهم ما هو؟ ولا أن يكنه معنى الاضاءة نفسها، وانما يعرف من ذلك ما يعرف كل بصير له عينان وعلى هذا القياس) اه

«١» وتحدث الفيلسوف الفرنسى (جوستاف لوبون) فى كتابه تحول المادة عن تطور المعارف الانسانية الكونية وقصور العقل البشرى عن ادراك حقائق النواميس الطبيعيــة فى كلام طويل نقتطف منه مايلى (كل نظرياتنا العلمية العظيمة ليست بقديمة العهد .. لان تاريخ العلم التجريبى المحقق لا يصعد الى أبعد من ثلاثة قرون وفى هــذا العهد القريب قربا نسبيا حدث دوران مختلفان من أدوار التحول فى أفكار العلماء — فالدور الاول كان دور الثقة والاعتقاد فكانت فيه المقررات الفلسفية والدينية وهى قواعد مدركاتنا القــديمة عن الوجود تضمحل وتزول ببطء أمام المكتشفات العلميــة التى تتوالى يوميا ولا سيما فى

«١» هذه الشواهد منقولة من كتاب « على أطلال المذهب المادى للاستاذ محمد فريد وجدى »

النصف الاول من القرن الماضي وكان يظن مؤسسو كل علم جديد أنهم متى أتموا بناء الصرح العلمي استمر هذا الصرح قائما على أنقاض أوهام الزمان الماضي فكانت العقيدة العلمية في هذا الدور على غاية تمامها دامت هذه العقيدة في المقررات الكبرى للعلم العصري حافظة لقوتها — الى أن حدثت في الأيام الاخيرة مكتشفات غير منتظرة نضت على الفكر العلمي أن يكابد من الشكوك في نتائج بحثه ما كان يعتقد أنه قد تخلص منه أبدا الآبدين . فان الصرح الذي كان لا يرى صدوعه إلا عدد قليل من العقول العالية تزعزع فجأة بشدة عظيمة فصارت التناقضات والمحالات التي فيه ظاهرة للعيان بعد أن كانت من الخفاء بحيث تكاد لا تبلغها الظنون — أدرك الناس على عجل أنهم كانوا مخدوعين وأسرعوا يتساءلون عما اذا كانت الاصول المكونة لمقررات اليقينة لمعارفنا الطبيعية لم تكن الا فروضا واهية تحجب تحت غشائها جهلا لا يسبر له غور — فحدث في ادراك المقررات العلمية مثل ما حدث قبل ذلك للعقائد الدينية «١» عند ما شرعوا في مناقشتها الحساب فبدأت ساعة الانحطاط ثم تلاها دور الزوال والنسيان — لامشاحة في أن الاصول التي كان العلم يختال بها اختيالا لم تزل كل الزوال بل هي ستبقى أمدا طويلا في نظر الدهماء كحقائق مقررة وستستمر الكتب

«١» يقصد المؤلف العقائد الدينية عندهم والا فان عقائد الاسلام قد سايرت العلم في كل عصر فلم تضعف امامه وقد بينا سر ذلك في الفصل السابق .

الابتدائية على نشرها ولكنها قد فقدت كل ما كان لها من الاجلال في نظر العلماء الحقيقيين ـ تلك المكتشفات التي نوهت بها آنفا قد كشفت الانام عن الظنيات التي بدأت تفضحها الكتب الحديثة وبذلك دخل العلم نفسه في دور من الفوضى كانوا يظنون أنه قد سلم منه الى الآن ، وأصبحنا نرى أصولا كان يظن أنها ذات قاعدة رياضية محققة صارت موضوع النزاع بين العلماء الذين من وظائفهم تعليمها والدفاع عنها — ثم أورد بعد ذلك عدة شواهد على قوله هذا من كلام (هنري بوانكاريه) و (أميل بيكار) و (ماتش) و (لوسيان بوانكاريه) ختمها بقول هذا الاخير (فالآراء التي كانت تظهر لمن سبقنا كانها تأسست تأسيسا ثابتا صارت اليوم لدينا موضوعا للمناقشة وقد رفض اليوم على وجه تام الرأي القائل بان كل الظواهر الطبيعية تقبل تفسيرا ميكانيكيا ، فان أصول علم الميكانيكا نفسه صارت مشكوكا فيها وقد شوهدت حوادث جديدة زعزعت عقائدنا المتعلقة بالقيمة المطلقة للنواميس التي اعتبرت أساسية إلى اليوم) ثم قال بعد ذلك — من حسن الحظ أنه لاشيء أكثر ملاءمة للترقي العلمي من هذه الفوضى فالوجود مفعم بمجهولات لانراها والحجاب الذي يحجبه عنا منسوج غالبا من الاراء الضالة أو الناقصة التي توجبها علينا تقاليد العلم الرسمي وأشد الاشياء خطرا على تقدم العقل الانساني هو تقديم الظنيات للقراء لابسة حلل الحقائق المقررة على نحو ماتفعله كتب

التعليم - والتطاول لوضع تخوم للعلم ورسم حدود له لا تمكن معرفته كما كان يود ذلك (اجوست كونت) اه

(٢)حتى (دارون) نفسه وقد فتن مذهبه كثيرا من الاغراربين أن غاية نجاحه العلمي لم يتعد بعض التفسيرات فى أصل الانواع وقد كتب فى هذا المعنى الى صديقه المستر (هيات) فقال (اسمح لى أن أضيف الى هذا بأنى لست من قلة العقل بحيث أتصور أن نجاحى يتعدى رسم دوائر واسعة لبيان أصل الأنواع)

(٣)ومن كلام وليم جيمس الاستاذ بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة «إن علمنا ليس إلا نقطة ولكن جهلنا بحر زاخر والامر الوحيد الذى يمكن أن يقال بشيء من التأكيد هو أن عالم معارفنا الطبيعية الحالية محاط بعالم أوسع منه من نوع آخر لم تدرك خواصه المكونة له إلى اليوم)

(٤) وقال الاستاذ وليم كروكس الانجليزى من خطبة له فى مجمع العلوم (متى امتحناً من قرب بعض النتائج العادية للظواهر الطبيعية لم نبدأ بادراك الى أى حد تحصر هذه النتائج أو النواميس كما نسميها فى دائرة نواميس أخرى ليس لنهايتها أقل علم عندنا . أما أنا فان تركى لرأس مالى العلمى الوهمى قد بلغ حدا بعيدا فقد تقبض عندى هذا النسيج العنكبوتى للعلم كما عبر بذلك بعض المؤلفين إلى حد أنه لم تبق منه الا كرة صغيرة تكاد لاتدرك)

وقال «كاميل فلامريون» فى كتابه المجهول «ترانا نفكر، ولكن ماهو الفكر؟ لا يستطيع أحدنا أن يجيب على هذا السؤال وترانا نمشى ولكن ماهو العمل العضلى؟ لا يعرف أحد ذلك، بل كيف ينقل العصب البصرى الصور الخارجية الى الفكر؟ وقل لى كيف يدرك هذا الفكر وأين مستقره؟ وماهى طبيعة العمل المخى؟ أستطيع أن أسأل عشر سنين ولا تستطيع أكبر رأس فيكم (يقصد العلماء الكونيين) أن يجيب على أحقر أسئلتى»

وقال الفيلسوف وأندريه كريسون» فى كتابه قواعد الفلسفة (العلم لا يعطينا عن الوجود فى مجموعه الا معارف مبهمة للغاية فاننا لانعلم البدء الحقيقى للنجوم ولا للكواكب التى تحيط بالشموس البعيدة فابداء فرض والحالة هذه على تركيب مجموع الكون لا يمكن أن يكون إلا تحكما)

تلك صورة مصغرة فى الحقيقة عن اعتراف علماء الكون بجهلهم بنواميس الكون نسوقها تذكرة لاخواننا الذين افتتنوا بهذه البحوث وأرادوا أن يتخلصوا من سلطان العقيدة الدينية استنادا إليها بل أزيدهم فى ذلك أن الفيلسوف الانجليزى هربرت سبنسر كان من حججه القوية فى المطالبة بالعناية بالعلوم الطبيعية أن معرفتها مما يقوى الايمان ويؤدى الى معرفة الله فان مافى الموجودات من جمال التناسق والابداع ودقة الصنع والاختراع يثير فى النفس الانسانية فطرة الايمان

العميق فتعترف راضية مطمئنة بعظمة الخالق العظيم ويزيدها تسليما وتفويضا عجز العقل البشرى عن تخطي الحدود العرفانية المقررة له وضرب لذلك عدة أمثلة فى غاية الروعة فالتراجم فى رسالته في التربية

ومن ذلك نعلم أن الانسان لازالت أمامه مراحل واسعة لادراك حقائق الظواهر الكونية فاذاعجزنا الان عن ادراك ملكوت السموات وعن تعرف عجائب الارض . وعن اكتناه سر الحياة إذ أن القرآن الكريم لم يكشف لنا من ذلك الاما تحتاجه للعظة والعبرة، والعقل البشرى لم يصل فى كشفه الا الى بعض الجوانب دون بعض، اذاعجزنا الان فليس ذلك بنقص ولا بعيب ، ولسنا ملزمين ابداً بادراك كل الحقائق فلنقتنع مؤقتا بما وصلنا اليه ولنعمل بجد لادراك ما خفى عنا امره ، ولكل مجتهد نصيب « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين »

(الله الذى رفع السموات والأرض بغير عمد ترونها) تقدم فى سورة الاعراف فى الجزء الثامن من تفسير المنار كلام مطول نفيس عن السموات والأرضين وعن الايام الستة التى خلقت فيها وعن المطابقة بين الوارد فى القرآن والمعروف من نظريات علماء الفلك ؛ وفى الرد على كثير من الاقاصيص حول هذه الموضوعات فليراجع هناك وخلاصته ما يأتى —

(١) ان السموات والارض يطلقان « فى مثل آية الاعراف » على

كل موجود مخلوق أو ما يعبر عنه بالعالم العلوي والعالم السفلي وان كان العلو والسفل فيهما من الامور الاضافية ـ وقد تطلق السموات على ما دون السفلي من العالم العلوي . ولا سيما اذا وصفت بالسبع وهذا المعنى هو الموافق في آية الرعد

(٢) أن الأيام الستة التي وردت في خلق السموات والأرض هي من أيام الله التي يتجدد اليوم منها بالعمل الذي يكون فيه ، فالمراد بها اذا والله أعلم . التطورات التي اعتورت خلق السموات والأرض من الدخان إلى المائية إلى اليبوسة إلى خلق الأحياء والتعمير بالنسبة للارض فهذه أربعة أيام . ثم الى تكوين الاجرام السماوية في زمنين آخرين فليست هي كأيام الدنيا . وما جاء من الآثار في ذلك فهو اسرائيلي أو ضعيف وأصح ما ورد فيه حديث أبي هريرة في ذلك وفي سنده حجاج بن محمد الأعور وهو قد تغير في آخر عمره وثبت أنه حدث بعد اختلاط عقله

(٣) أن تكلف التوفيق بين ما ورد في ذكر السموات السبع وبين الافلاك التسع المعروفة في الهيئة الفلكية عند اليونان مردود ببطلان هذه النظريات ولا حاجة الى الخوض فيه

هذه خلاصة ما تقدم في سورة الاعراف ونزيد عليه هنا ما انفردت به هذه الاية وهو :

النص على أن رفع السماء بغير عمد إظهارا لكمال قدرة الله سبحانه وتعالى وعظيم سلطانه فهذه السموات كلها وما فيها من الاجرام

والكواكب والخلائق مرفوعة باذنه وامساكه من غير أن تستند على شيء بل بذلك الناموس العجيب الذى أودعه طبيعتها وجعله لازما لتكوينها فاستغنت به عن أن تعتمد على ما سواه وسواء أسمينا هذا الناموس جاذبية أو نسبية أو امساكا إلهيا أو قدرة ربانية فلاتغير هذه الاسماء من حقيقة الامر شيئا

(ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا . ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا)

وقد نقل بعض المفسرين عن بعض السلف أن للسماء عمدا ولكن لاترى أو أنها مرتكزة على الأرض كما يشاهد فى الافق وكل ذلك غير صحيح وقد نفاه شيخ المفسرين ابن جرير فقال فى ذلك « وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله سبحانه وتعالى · الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها فهى مرفوعة بغير عمد نراها كما قال ربنا جل ثناؤه ولا خبر بغير ذلك ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه) بل إنه وقد ورد فى شعر الجاهلية ما يفيد الاستدلال على قدرة الله وعجيب صنعه برفع السماء بغير عمد · قال أمية بن أبى الصلت ويرونها لزيد بن نفيل رضي الله عنه

الى الله أهدى مدحتى وثنائيا	وقولا رضيا لاينى الدهر باقيا
الى الملك الاعلى الذى ليس فوقه	اله ولا رب يكون مدانيا
ألا أيها الانسان إياك والردى	فانك لا تخفى من الله خافيا

وإياك لا تجعل مع الله غيره فإن سبيل الرشد أصبح باديا
رضيت بك اللهم ربا فان أرى أدين الها غيرك الله ثانيا
وأنت الذي من فضل من ورحمة بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقلت له: فاذهب وهرون فادعوا الى الله فرعون الذي كان طاغيا
وقولا له هل أنت سويت هذه بلا وتد حتى استقلت كما هيا؟
وقولا له: آأنت رفعت هذه بلا عمد أو فوق ذلك بانيا؟
وقولا له: هل أنت سويت وسطها منيرا اذا ماجنك الليل هاديا؟
وقولا له: من يرسل الشمس غدوة فيصبح مامست من الارض ضاحيا؟
وقولا له: من أنبت الحب في الثرى فيصبح منه العشب يهتز رابيا؟
ويخرج منه حبه في رءوسه ففي ذاك آيات لمن كان واعيا
فرب العباد ألق سيبا ورحمة عليَّ وبارك في بني وماليا

نقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية عن ابن اسحاق

وما ورد في تحديد مادة السموات وتقدير الابعاد بينها وبين الارض أو بينها وبين عوالم الملأ الأعلى لايصح فضلا عن أنه غامض مبهم

(ثم استوى على العرش) قال صاحب المنار رحمه الله في مثل هذه الآية من سورة الاعراف بعد كلام في المعنى اللغوي للاستواء والعرش وإيراد للآيات التي ذكرفيها ذلك مانصه (لم يشتبه أحد من الصحابة في معنى استواء الرب تعالى على العرش على علمهم بتنزهه

سبحانه عن صفات البشر وغيرهم من الخلق اذ كانوا يفهمون أن استواءه تعالى على عرشه عبارة عن استقامة أمر ملك السموات والارض له وانفراده هو بتدبيره . وان الايمان بذلك لا يتوقف على معرفة كنه ذلك التدبير وصفته وكيف يكون؟ بل لا يتوقف علي وجود عرش .. ولكنه ورد فى الكتاب والسنة أن لله عرشا خلقه قبل خلق السموات والارض وأن له حملة من الملائكة فهو كما تدل اللغة مركز تدبير العالم كله قال تعالى فى سورة هود (١١ — ٧) (وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء) ولكن عقيدة التنزيه القطعية الثابتة بالنقل والعقل كانت مانعة لكل منهم أن يتوهم أن فى التعبير بالاستواء على العرش شبهة تشبيه للخالق بالمخلوق، كيف وان بعض القرائن الضعيفة لفظية أو معنوية تمنع فى لغتهم حمل اللفظ على معناه البشري فكيف اذا كان لا يعقل وكيف والاستواء على الشيء استعمل فى البشر استعمالا مجازيا وكنائيا كما تقدم؟ والقاعدة التى كانوا عليها فى كل ما أسنده الرب تعالى إلى نفسه من الصفات والافعال التى وردت اللغة فى استعمالها فى الخلق أن يؤمنوا بما تدل عليه من معنى الكمال والتصرف مع التنزيه عن تشبيه الرب بخلقه فيقولون إنه اتصف بالرحمة والمحبة واستوى على عرشه بالمعنى الذى يليق به لا بمعنى الانفعال الحادث الذى نجده للرحمة والحب فى أنفسنا ولا مانعهده بالاستواء والتدبير من ملوكنا وحسبنا أن نستفيد من وصفه بهاتين الصفتين أثرهما في خلقه وأن نطلب رحمته

ونعمل مايكسبنا محبته، ومايترتب عليهما من مثوبته وإحسانه ونستفيد من الاستواء على عرشه كون الملك والتدبير له وحده فلا نعبد غيره ولذلك قرنه في آخر آية يونس بقوله (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) وفي سورة الم السجدة ٣٢ - ٣٣ (الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) ا هـ

ونقول: لك أن تقول هذا فتلاحظ في معنى الاستواء الوارد في الآيات القرائن والملابسات وذكر الخلق والتدبير والتصريف ونفي الشفعاء في معظم الآيات التي ورد فيها الاستواء ولم يجيء ذلك عبثا وإنما جاء لرابطة بين المعاني الواردة في الآية فتعتقد أن المراد بالاستواء على العرش مطلق التدبير والتصريف، وتصرفه صرفا تاما عن معناه الذي يوهم التشبيه كما جاء في هذا القول المتقدم ولك أن تتوقف مبالغة في التورع فتقول: نمره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل . ولكل من الموقفين موضعه فأنت إذا خفت على نفسك أو غيرك شبهة التشبيه فأمامك المعنى الاول يثلج الصدر ويطمئن القلب ولا يتنافى مع ظاهر اللغة ولا يقدح في جلال الصفة ، وان كنت رجلا رضي النفس مطمئن القلب بالايمان مستريح البال بالتفويض والتسليم تخشى أن الكلام في هذه المعاني يفتح عليك وعلى غيرك أبوابا من الفتنة المغلقة فقلت آمنت بما جاء عن الله على مراد الله والله أعلم بمراده واستنمت قلبك وان أفتوك

وان أفتوك وان أفتوك والله أعلم

(وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى)

وقد يكون المراد بالجريان ما يرى من حركتهما الظاهرة التى تلازم ناموس الاتصال بينها وبين الارض وبقية الكواكب حتى تقوم الساعة فيبطل ذلك النظام ويختل ذلك الناموس وتبدل الأرض غير الارض والسموات. وقد يكون المراد جريانهما الحقيقى. وقد ثبت أن لكل الاجرام حركات حول نفسها ولكثير منها حركات حول غيرها وللشمس حركة حول نفسها ولها هي ومجموعتها الكوكبية حركة انتقالية فى السماء بحيث أن دوران الارض حول الشمس ليس فى خط منحن مقفل بل فى خط حلزونى مفتوح دائما يجعلها لا تمر من نقطة واحدة دفعتين منذ دارت الى الآن وهذا عجيب حقا. والى أين تسير الشمس فى السماء؟ لا يجيبك أحد من الفلكيين ولكن القرآن الكريم يقول (لمستقر لها) وأين هذا المستقر ذلك ما يعلمه الله ولم يصل اليه العلم التجريبى بعد وكلا المعنيين صحيح الأول معنى نظرى والثانى معنى علمى وهو أسلوب القرآن المعجز الذى ذكرت لك آنفاً. وانما خصت الشمس والقمر بالذكر لصلتها الواضحة بالارض وما عليها والافالتسخير والتصريف والقهر يتناول كل الاجرام السماوية بل كل العوالم وقد صرح القرآن بذلك فى كثير من الايات كقوله تعالى (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)

(يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون)

هذا النظام المعجز والخلق البديع والتكوين الكامل والتصريف العجيب هو تدبير الله وصنعه وكذلك يدبر الله أمر الخلق ويفصل لهم الآيات الكونية والقولية لعل ذلك يكشف عن قلوبهم حجب الغفلة ويزيل غشاوة الشك والريب فاذا أدركوا بعض مظاهر هذه العظمة الربانية اعتقدوا وأيقنوا أن هذا الخالق قادر على اعادتهم وأنهم سيلقونه فيحاسبهم على ماقدموا من الاعمال فى حياتهم الدنيا . واليقين صفة من صفات العلم ومرتبة من أعلى مراتب الايمان وهو فوق المعرفة والدراية هو سكون القلب واطمئنانه مع ثبوت الحكم فى النفس واستقراره وزوال كل عوارض الشك والريب والله أعلم

« الجهاد فى سبيل الله »

من كلام الامام على كرم الله وجهـــه

أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل ، وشمله البلاء ، وديث بالصغار والقماء وضرب على قلبه بالاسداد ، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ومنع النصف . . . فو الله ما غزى قوم فى عقر دارهم الا ذلوا . . . فياعجبا والله يميت القلب ويجلب الهم اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم ، يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون !! . .

فتاوى المنار

تفتح فى هذا الباب الاجابة على أسئلة المشتركين ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب وسنجيب بحسب ترتيب الاسئله فى الورود ان شاء الله. والله المستعان

الاحمدية (القاديانية واللاهورية)

سيدى الاستاذ محرر المنار الاغر حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

« وبعد » فقد طالعنا فى بعض الجرائد الاسلامية مقالات حول طائفة القاديانية وحول وجود بعض من ينتسبون اليها بالازهر الشريف لطلب العلم وأن فضيلة شيخ الازهر قد ألف لجنة من بعض كبار العلماء للتحرى عن مذهب هذه الطائفة ولم نعلم نتيجة هذا التحقيق بعـــد فنرجو التكرم ببيان موجز عن عقائد هذه الجماعـة وعن الفرق بين القاديانية والاحمدية وعن نشأتهم وعن واجب المسلمين إزائهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد فهمى أبو غدير
كلية الحقوق

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) رأس هؤلاء الجماعة رجل هندى اسمه غلام أحمد ولد عام ١٨٣٩ م

ومات عام ١٩٠٨م بقاديان من أعمال بنجاب الهند ادعى أنه المسيح الموعود به وأن روح الله قد حلت فيه وأنه المهدى المنتظر وأنه أوحي اليه بكثير من اللغات ومنها الانكليزية وخلط ذلك بكثير من الدعاوى الفارغة التى تتناقض مع أصول الاسلام كل المناقضة وقد وجدت السياسة الانكليزية فيه مطية من مطاياها فى التفريق بين الشعوب وأغرته وأمدته بالمال والجاه حتى كان قضاة المحاكم الانكليز يتساهلون معه فى الاحكام فى القضايا التى رفعت عليه وعلى أتباعه فى جرائم كثيرة وفى نظير هذه المساعدات من الدولة الانكليزية أصدر هذا المدعى فتاوى صريحة بسقوط أحكام الجهاد بل وصرح بأن من يرفع السيف فى وجه انجلترا آثم مرتكب لاكبر الجرائم وقد وقعت بينه وبين علماء الهند الفضلاء مناظرات ومجادلات عدة ووقعت بينه وبين صاحب المنار السيد محمد رشيد رضا رحمه الله محاورات وتناول السيد هذا الموضوع فى كثير من أعداد المنار وترى بعض هذه المقالات فى الاجزاء الخامس والسادس والسابع من المجلد الحادى والثلاثين وقد كان من عادات هذا المسيح المدعى أن يدعو مناظريه إلى المباهلة وأن يجعل موت خصمه قبله دليلا على انتصاره وبالعكس وقد مات سنة ١٩٠٠ بعد أن زعم قبل ذلك أن أجله قد انتهي فمكث بعد هذا الزعم ثلاث سنوات وقد بني مقبرة بقاديان وادعى أن من دفن بها سيدخل الجنة بشرط أن يتبرع بربع ماله. وأبقى الله فضلاء العلماء الذين قاموا ببيان زيفه

وغلطه فما كانت هذه التمويهات لتكون دليـــلا على حق أو هادمة لباطل ولكنه الافلاس من الدليل وقد قام برياسة جماعته من بعده ابنه بشير محمود ومقره الآن قاديان من البلاد الهندية وتنسب الطائفة إلى أبيه فتسمى الطائفة الاحمدية

(٢) وقد انقسمت هذه الطائفة الاحمديه الى فريقين فريق اعتقد النبوة لغلام احمد وصدق بكل ماقاله وهؤلاء هم أحمدية قاديان ورئيسهم ابنه بشير وفريق اعتقد فيه أنه مصلح مجدد وأخذ ببعض مزاعمه دون البعض على حد اعترافهم وقولهم والله أعلم بحقيقة مايضمرون وإن كانت كل أعمالهم تدل على أنه لا فرق بينهم وبين اخوانهم السابقين وهؤلاء هم أحمدية لاهور ولسانهم الناطق السير محمد على صاحب ترجمة القرآن وهو غير مولانا محمد على رحمه الله — وكلام الفريقين بعيد عن أصول الدين فانه إذا كان غلام احمد قد صرح بأنه نبي وانه يوحي إليه وصرح بغير ذلك من الطوام والفظائع فهل يغني شيئا عن اللاهوريين أن يقولوا إننا نعتقد أنه مجدد ؟ وأي القولين يصدق الناس قول المتبوع الذي يصرح بنبوة نفسه أم قول التابعين الذين لايبلغون به هذه المرتبة ؟ لو كان هؤلاء صادقين لرجعوا إلى الحق ولوافقوا جمهور أئمة المسلمين ولبرءوا الى الله من هذا الرجل براءة الذئب من دم ابن يعقوب

(٣) والغريب فى أمر هذه الجملة أنها تلبس على المسلمين بأمرين

اولهما نشاطها فى الدعوة إلى نحلتها بزعم أنها دعوة الى الاسلام وتشجيع الانكليز وإغراؤهم من وراء ذلك والا فلما لا يبرز هذا النشاط قويا الا فى بلاد الانكليز وما يلحق بها ؟ والثانى مجادلتهم للمبشرين وهدم لمزاعم دعاة النصرانية وهم فى هذا مهرة مجيدون وهدم الباطل سهل ميسور وهم يستغلون هذا الانتصار ليقولوا للمسلمين اننا أخاص الناس للاسلام وها أنتم ترون كيف نهزم دعاة النصرانية ويخفون عنهم أنهم ان هدموا عقائد النصرانية فهم لا يبنون عقائد اسلامية ولكن عقائد خيالية لعل النصرانية خير منها وفيما يلى نموذج من أقوال رئيس هذه الطائفة فى كثير من المسائل وفى اسقاط الجهاد وتحريم رفع السيف فى وجه الانكليز

(١) قال غلام أحمد فى رده على صاحب المنار بكتاب أسماء (الهدى والتبصرة لمن يرى) يذم العلماء لانهم لم يؤمنوا بمسيحيته الموعودة ويعلن أن رفع السيف على الانكليز جرم عظيم

« وقد أمروا أن يتبعوا الحكم الذى هو نازل من السماء ، ولا يتصدوا له بالمراد فما أطاعوا أمر الله الودود ، بل إذا ظهر فيهم المسيح الموعود.. فكفروا به كأنهم اليهود .وقد نزل ذلك الموعود عند طوفان الصليب وعند تقليب الاسلام كل التقليب فهل اتبع العلماء هذا المسيح كلا بل أكفروه واظهروا الكفر القبيح وأصروا على الاباطيل وخدموا القسوس فأخذم القسوس وشجوا الرءوس وأذاقوهم مايذيقون

المحبوس فرأوا اليوم المنحوس - سيقول العلماء ان الدولة البريطانية أعانت القسوس ونصرتهم بحيل تشابه الجبل الركين لينصروا المسلمين في جميع العالمين

والامر ليس كذلك والعلماء ليسوا بمعذورين فان الدولة ما نصرت القسوس بأموالها ولا بجنود مقاتلين وما أعطتهم حرية أكثر منكم ليرتاب من كان من المرتابين بل أنشأت قانونا سواء بيننا وبينهم ولها حق عليكم لو كنتم شاكرين

أتريدون أن تسيئوا إلى قوم أحسنوا إليكم والله لا يحب الكفارين الغامطين ومن إحسانهم أنكم تعيشون بالامن والامان وقد كنتم تخطفون من قبل هذه الدولة في هذه البلدان - وأما اليوم فلا يؤذيكم ذباب ولا بقة ولا أحد من الجيران وإن لملكم أقرب إلى الامن من نهار قوم خلت قبل هذا الزمان ومن الدولة حفظة عليكم لتعتصموا من اللصوص وأهل العدوان وهل جزاء الاحسان الا الاحسان. وإنا رأينا من قبلها زمانا موحشا من دونه الحطمة واليوم بجنتها عرضت علينا الجنة نقطف من ثمارها ونأوى إلى أشجارها ولذلك قلت غير مرة إن الجهاد ورفع السيف عليهم ذنب عظيم وكيف يؤذي المحسن من هو كريم ومن آذى محسنه فهو لئيم »

هذا كلام المسيح الموعود عن طغاة الاستعمار المنكود فهل يدافع الانجليز عن أنفسهم في كل مكان بأكثر من هذا الهذيان. اللهم ان

هذا هو البهتان وانظر إليه كيف ينفي عن الانجليز مساعدة المبشرين وهم أعضادهم فى كل وقت لايشكرون ذلك ولايخفون ما هنالك بل يساعدونهم فى كل حين بأوقاف المسلمين وما أنباء التبشير فى السودان الان وفى غير السودان من قبل ببعيد عن هذا المسيح الموعود ولكن الغرض يعمى ويصم

وقد نشرت مجلة الفتح الغراء فى العدد ٦٦٤ بتاريخ ١٠ جمادى الاخره سنة ١٣٥٨ استفتاء لعلماء الهند جاء به كثير من أقوال هذا المدعى المكفرة مثل قوله (انى نبي وأنا المخصوص بالنبوة فى هذه الامة) من كتاب حقيقة الوحى ص ٣٩١ له

وقوله (خاطبني الله بقوله اسمع ياولدى) من كتاب البشرى ص ٩٤ له

وقوله (كان المسيح متعودا على الكذب والافتراء) من كتاب ضميمة أنجام آتهم ص ١٧

وهكذا من هذه التخريفات وقد أفتى علماء الهند الفضلاء بكفره لهذه الاقوال الشائنة وذيلت هذه الفتيا بتوقيعات كثير من الافراد والطبقات العلمية فى جميع بلاد الهند تقريبا وفى كثير من بلدان الاسلام

(٤) أما حادثة الازهر فخلاصتها أن طالبين البانيين ممن ينتسبون الى هذه الطائفة اندرجا فى سلك طلبة القسم العام وتنبه لهما بعض اليقظين من الطلبة فأبلغوا أمرهما الى الجهات المختصة فى الازهر فأجرى

تحقيق بمعرفة شيخ القسم العام ثم ألفت لجنة للكشف عن حقيقة هذا المذهب وقد أمد بعض الغيورين هذه اللجنة بكثير من كتب هذه الطائفة التي تصرح بضلالها ومحالها.

وكلمتنا لحضرات أصحاب الفضيلة علماء الأزهر الاجلاء وعلى رأسهم فضيلة الاستاذ الاكبر أن الامر أهون من ذلك كله والحق واضح بين . ووجود هذين الطالبين بين الطلبة فيه خطر محقق ذلك إلى أنهما سيستخدمان نسبتهما للازهر وحملهما لاسم طلب العلم فيه استخداما خبيثا في تأييد نحلتهما الضالة الهدامة . وقد ذاع الامر الآن في مصر وفي غير مصر من بلاد الاسلام وعلى يد هذين الطالبين وامثالهما ممن يشابهما في البانيا ذاع السفور والتحلل من عقدة الاسلام ورأى الأزهر رأى رسمي يتخذه الناس حجة في كل أقطار العالم فتبعة فتواه في هذا كبيرة عظيمة ومسئوليته في هذا لايعلم مداها إلا الله

نرجو أن تضع اللجنة نصب عينها هذه الحقائق وأن تقذف هذه الفتنة بالحق الواضح فتدمغها فاذا هي زاهقة وان تأخذ بالحزم فتقصي عن حرم الازهر كل طالب لاخير فيه للاسلام والله الهادي إلى سواء السبيل ؟

« في العدد القادم »

ورد علينا سؤالان أحدهما خاص باستحضار الارواح والثاني خاص بما قيل في خطيئة آدم عليه السلام نرجئ الكلام فيها إلى العدد القادم

(المنار منذ عشرين سنة)

رجب سنة ١٣٣٨ هـ

عاقبة حرب المدنية الأوربية

بقلم السيد محمد رشيد رضا رحمه الله

كتبنا فى أثناء هذه الحرب مقالات بينا فيها أسبابها وعللها وحكمة الخالق فيها وفظائعها وشرورها والمقابلة بينها وبين الحروب الاسلامية التى امتازت بالرحمة وبجعل الحرب ضرورة تقدر بقدرها وبتحريم القسوة والفظائع فيها، والمقابلة والمقارنة بين الدول المتحاربة فى الاستعداد والمزايا، وصرحنا فيها بأن عاقبتها ستكون انفراد احدى الدولتين الرئيسيتين فى الحلفين الكبيرين الجرمانى والانكليزى — وهما المانية وانكلترة — بالسيادة والعظمة فى العالم وفاقا لقول الفيلسوف هربرت سبنسر الشهير للأستاذ الامام: إن ضعف الفضيلة وتغلب الأفكار المادية فى أوربة سيدفعان دولها إلى حرب عامة طامة ليعلم أيها الاقوى ليسود العالم

ومما بيناه فى بعض تلك المقالات أن المانية أتقنت الاستعداد للحرب اتقاناً يمكنها من محاربة أوروبة كلها وأنها فاقت جميع الدول فى السلاح

والنظام وان اعداءها يفوقونها بالكثرة التي تعد من أعظم أسباب الغلبة كما قال الشاعر العربي

ولست بالاكثر منهم حصا وانما العزة للكاثر

وقد كان من أمر هذه المكاثرة أن انكلترة ألبت على المانية أكثر دول الأرض في الشرق والغرب من العالمين القديم والجديد ، وإنما كان ذلك بعلو كعبها على الألمان بغيرهم في الدهاء السياسي الذي هو أدق علوم البشر وأصعب أعمالهم مركبا وأوعرها مسلكا، وقد قلت مرة لصاحب لي من الألمان المستشرقين كان يحاورني وأحاوره في المقارنة بين قومه وبين الانكليز وما بينهما من المناظرات . إنني مقتنع بأنكم فقتم الانكليز في جميع العلوم والفنون والأعمال حتى التجارة إلا ما هو أهم من ذلك كله وأعظم - وهو السياسة - فاني أرى أن الانكليز يفوقونكم فيها . فقال صدقت

وقدذكرتني هذه الكلمة التي قلتها منذ بضع سنين بكلمة في معناها قلتها منذ بضع عشرة سنة في مجلس بدار أحد أصدقائنا بمصر مات من حاضريه لطيف باشا سليم وحسن باشا عاصم وجرجي بك زيدان وبقي صاحب الدار وأحد الباشوات قال صاحب الدار في ذلك المجلس انه بلغه أن المانية عقدت مع روسية محالفة سرية على انكلترة وسيترتب على هذه المحالفة اخراج الانكليز من مصر ومن الهند أيضا فقلت له لا تغتر بهذا الخبر فان انكلترة كانت ولا تزال تضرب بعض الأمم

يخض وتكون هي الرابحة فهي كما قال مسلم بن الوليد كالسيل يحذف جلمودا بجلمود

انني لم أصدق هذا الخبر في ذلك الوقت ثم تبين في أثناء هذه الحرب مما اكتشف من أسرار القيصرية الروسية أن له أصلا وأن مشروع المحالفة وضع ثم عرض ما حال دون اتمامها فان كان هذا وقع بعد ذلك الزمن الذي أخبرنا فيه ذلك المخبر به فمن الجائز أن تكون مقدماته ووسائله قد سبقته بسنين ، والذي نقصده من العبرة في هذه السياسة هو أن الانكليز غلبوا ألمانيا على روسية فحالفوها على الترك والفرس ثم جعلوها باتفاقهم مع حليفتها فرنسة فدية لهما في هذه الحرب فكانت مصب نقمة ألمانية الحربية في ريعان قوتها ، وعنفوان أسرتها وكذلك تعبث الأمم العليمة الحكيمة بالأمم الجاهلة الخرقاء فتجعلها فدية لها كما فعل الحلفاء بأمم أخرى وكما فعل الألمان بالترك

وقد كان أعجب مظاهر قدرة انكلترا السياسية تسخير دولة الولايات المتحدة الامريكية لانقاذها وإنقاذ حلفائها من جحيم الالمان العسكري بعد أن عجزت أوروبا كلها ومن ظاهرها من أمم آسيا وافريقيا وأمريكا الجنوبية عن فل حدهم ، وإيقاف طغيان مدهم ، وهي الدولة التي جعلت من قواعد سياستها ترك مشاكل العالم القديم لاهله وعدم مشاركتهم في شيء منه . رقتها انكلترا رقيتين استخرجت بهما حيتها من جحرها ، وزحزحتها عن قاعدة سياستها . إحداهما دعوتها

إلى انقاذ حرية الامم والشعوب من السيطرة الالمانية التي تهدد العالم بالاستعباد ، والثانية دهاء اليهود ونفوذهم المالي في تلك البلاد ؛ وقد وعدتهم انكلترا بان يكون جزاؤهم إعادة ملك اسرائيل الى مملكة سليمان في الارض المقدسة بالرغم من أنوف العرب أصحاب البلاد . ومن الملتين الاسلامية والنصرانية وسكت لها على هذا الوعد أشد ذوي التحمس الديني من البروتستنت والكاثوليك حتى الجزويت منهم ، وأما المسلمون فلم يصدهم ذلك عن مساعدتها على فتح البلاد المقدسة بالجيوش التي جهزوها باسم شريف مكة سليل الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحب الحجاز بقيادة بعض أبنائه . فهل كان باستطاعة أحد من دول الارض أن يفعل مثل هذا أو يفكر في إمكانه ؟ لا ! ولكن الانجليز فعلوا مالم يكن يخطر في بال بشر فاستردوا هذه البلاد وماحولها من المسلمين الذين غلبوا قلب الاسد ملك الانجليز وسائر ملوك أوروبا في الحرب الصليبية بمساعدة الجيوش الاسلامية

طوع المستر لويد جورج وزير انجلترا الاكبر هذه الدولة بالرقيتين اللتين ذكرتا فجعلت ثروتها الكبيرة ومواردها الغزيرة وجنودها الكثيرة وقفا على انقاذ الحلفاء من ألمانيا بل هاجمت المانيا بقوة أكبر وأعظم من كل هذه القوى — قوة الدعوة الى الصلح المبني على اتفاق الامم والشعوب على العدل العام والحرية الشاملة لجميع الانام ؛ وإبطال ماجرت عليه الدول القوية في العصور الخالية من المحالفات السرية

على هضم حقوق الامم المستضعفة وغير ذلك من أصول الحق والعدل التى مازال الاقوياء يهدمونها بمعاول القوة ؛ ومنها وجوب حرية البحار وجعل الانجليز وغيرهم فيها سواء ، قام الدكتور ولسن رئيس جمهورية الولايات نحارب المانيا بهذه القوة الادبية المعززة لتلك القوى الحربية والمالية . فقاه بتلك الخطب الطنانة الرنانة ، ووضع للصلح تلك القواعد الجذابة الخلابة . فعملت فى زمر الاشتراكيين والعمال الالمانيين فعل السحر ، ولاسيما قاعدة حرية البحار فى زمنى الحرب والسلم فخرجوا على حكومتهم السياسية ، وثاروا فى وجه قوتهم العسكرية وهى فى أوج انتصارها، وذروة فخارها : أمرت أسطولها بأن يهاجم الاسطول البريطانى فاعتصب بحارته وأبوا الامتثال ، وهدد زعماء الاشتراكيين قواد الحرب باعتصاب جميع العمال ، أو يطلب عقد الصلح على قواعد الرئيس «ولسن» العادلة اذ هى أفضل من نصر عسكرى يورث الاحقاد ويورث السياسة الجائرة ، وانما أسست جمعياتهم وتحزبت أحزابهم لمقاومتها ، وقد سنحت لهم الفرصة فقالوا لانضيعها . ولم يقنعهم القول بأن هـذا خداع ؛ لان الامريكيين غير متهمين بالكيد ولا بالاطماع ، فاستمهلتهم الحكومة ريثما تسحب جيوشها وكراعها وذخائرها من قلب فرنسا فامهلوها ، وكان ما كان من أمر طلب الهدنة واشتراط الحلفاء فيها إضعاف جميع قوى الالمان الحربية فى البر والبحر والجو حتى لايستطيعوا العود. فمن المنتصر؟ أميركا فى الظاهر وانجلترا فى الباطن . بل المنتصر إنما هم

السياسة واحتجوا بأنه مخالف لمهد (عصبه الامم) إذ كانت المسألة السورية معلقة بأنواط تلك الوسائل المشار اليها، كما تحدث أولئك الرجال وتلك الجرائد بالمسألة المصرية وعما للمصريين من الحق في المطالبة باستقلالهم وحريتهم ولم تفتر تلك الشقشقة حتى تم الاتفاق على العود إلى تنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦

وقد ظهر رجحان السياسة الانكليزية على السياسة الفرنسية في البلاد التي كانت تظن فرنسه أن سياستها فيها أرجح لما لها فيها من الصنائع والوسائل. فقد كان طلاب المساعدة الامريكية فالانجليزية من أهالي البلاد أضعاف طلاب المساعدة الفرنسية، فلم يبق لفرنسا بد من اللجأ الى ارضاء انجلترا والرضا منها بتنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦ بمقابلة تصرفها المطلق في مصر وسائر بلاد العرب والعجم. جرى كل ما ذكر على طريقة السياسة الاوروبية المعروفة المألوفه من تصرف الاقوياء في الضعفاء والعلماء في الجهلاء، بعد أن ذهبت جمجمه خطب الرئيس «ولسون» في الهواء وهو ما كنا نتوقعه من وراء هذا النصر ونحدث به من كلناه في عواقب الحرب، وخاصة اخواننا العرب المغرورين من السوريين والعراقيين، ولا غرابة في غرور أطفال أغرار في مهد السياسه والحركة العربيه الحجازيه في بدء ظهورها تكبرها في أعينهم بعض الجرائد.

فان قال قائل. ان كتاب الله قد أثبت أن العاقبه للمتقين وقد فسر

علماؤنا التقوى بأنها عبارة عن أداء المأمورات وترك المنهيات ، فهل كان الانكليز ـ بهذا المعنى ـ هم المتقون ، حتى كانت عاقبة هذه الحرب لهم بنفوذ الكلمة وعلو المنزلة والتصرف فى أرض الله الواسعة ؟ نقول إن قول الله تعالى لاريب فيه ، وإن كلام العلماء فى تفسير التقوى صحيح ولكنه محمل فى فهم منه أن المراد بعمل المأمورات الوضوء والصلاة والصيام ولو على غير الوجه الذى شرعه الله تعالى ، وأن ترك المنهيات خاص بترك الخمر والزنا والسرقة وما أشبه ذلك ـ فهو قصير النظر ضعيف الفهم . التقوى أعم من ذلك وهى تختلف باختلاف ما تطلب فيه كما بيناه فى مواضع من تفسير المنار ونبهنا أهل العصر الى تقصير المفسرين وغيرهم من علمائنا فى بيان مافى الكتاب والسنة من الاصول الاجتماعية ومسائل السياسة والعمران

فالتقوى المكررة فى قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا) الآية غير التقوى فى معاشرة النساء المكررة فى سورة الطلاق ، وغير التقوى فى قوله تعالى (وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون) فلكل مقام خصوصية هى المقصود الاول من المعنى العام والتقوى فى قوله تعالى (إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) غير ماذكر كله . فالاولى والثانية فى أحكام الطعام والصيد وهما من الاحكام الشخصية الفردية ، والثالثة فى أحكام الزوجية وهي منزلية

(أو عائلية) والرابعة فى شؤون الامم والعمران وهى ما يعبر عنه فى عرف هذا العصر بالاجتماعية وكلامنا فيها . والثابت عندنا أن الانكليز أشد الأقوام عناية باتقاء الخيبة والفشل فى هذه الأمور . والالمان كذلك إلا أن المان فاقوا الانكليز بالقوى الحربية فلم يدعوا شيئا من أسباب اتقاء الانكسار فيها إلا وأحكموه . ولذلك كانت العاقبة لهم فى المعارك الحربية . ولكنهم لم يتقنوا كالانكليز إتقاء التنازع الداخلى فوقعت الثورة الاشتراكية فى أمتهم . وصدق عليهم قوله تعالى : (ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ولم يتقنوا كالانكليز اتقاء سخط الامم والشعوب عليهم فأسخطوا الامة الامريكية على حين صارت أعظم الامم ثروة واشتدت حاجة جميع الامم اليها . فكان ذلك عونا للانكليز على تسخيرها لهم . ولم يتقوا خروج العرب على الترك باستمالة العرب وتوثيق الرابطة بينهم وبين الترك وتحذيرهم من خطر انتصار الانكليز عليهم بل سعوا لاوليائهم سفهاء الاحلام من زعماء (جمعية الاحرين) ــــ الدم والذهب ــــ بإرهاق العرب والتنكيل بهم تقتيلا وتصليبا وتذليلا وتغريبا ومصادرة وتعذيبا وهتكا للأعراض وإفسادا للاخلاق . على حين كان الانكليز يجدون فى استمالة كل أمير وزعيم منهم بما يروج عنده من ضروب الاستمالة فمال اليهم بعض دون بعض وكان فيمن مال وشايعهم مشايعة فعلية أو سلبية الامير عبدالعزيز ابن سعود صاحب نجد وبعض شيوخ عرب العراق . وو الاهم شريف

مكة (الملك حسين) وساعدهم على محاربة الترك بجيش مؤلف من بدو الحجاز وحضر سوريا والعراق بقيادة أبرع أبنائه فى الغزو والقتال الامير فيصل (ملك سوريا) وقد اعترفوا له ببلائه واخلاصه فى اعانتهم على فتح القدس الشريف وعلى ايقاع الفشل والخذلان فى جيش الترك المدافع عن سوريا حتى انهزم وتركها غنيمة باردة لهم وصرحت جريدة التيمس الشهيرة بأن الامير فيصل سل حسامه فى نصر الخلفاء من غير أن يحصل على أى وعد منهم بشىء ولكنه أعطى بعض الوعود بعد ما أخذ فى النجاح. وقالت ان الامير فيصل كان يرغب فى الاستقلال التام للحجاز وحده، وأما لسائر الشعوب العربية فانه يرغب لها فى الاستقلال عن الترك فقط وأن نطلب كل البلاد العربية وصاية دولة واحدة عليها وتعنى دولتها انجلترا (اه ملخصا من عددها الاسبوعى المؤرخ فى ١٤ فبراير سنة ١٩١٩) بل كانت موالاة الشريف أكبر مما ذكر فى فوائدها السلبية والمعنوية ولا محل لشرح ذلك هنا. ولو كان الالمان مثل دهائهم لسبقوهم الى استمالة العرب وكانوا على ذلك أقدر. واذا لاستطاعوا أن يجندوا منهم خمسمائة ألف أو ألف ألف جندى ولا أبالغ اذا زدت على ذلك ولاسيما اذا شملت هذه الاستمالة اليمن وعسير ووصلوا الى شواطىء البحر الاحمر. بحر العرب ولم يكن ذلك عليهم بعسير

فان قال ذلك القائل، فهمنا معنى التقوى فى السياسة والحرب

ومعنى كونها من سنن الله تعالى فى النجاح ، ولكن خفى علينا ما بينت فى تلك المقالات من أن هذه الحرب انتقام إلهى عادل من الدول والشعوب الظالمة لنفسها والظالمة لغيرها الباغية على عباد الله التى لم تشكر نعمه الله تعالى باستعمالها فيما يرضيه من إقامة الحق والعدل ، وانا نرى ألوف الالوف من البشر تئن من سلطة تلك الدول وحكمها وإذا كانت مصيبه صادقة فى شكواها — لانها مهضومة الحقوق بضعفها — فلماذا كانت عاقبة الحرب استمرار عقاب الله لها بالاستذلال والحرمان من الاستقلال ورفع العقاب عن أولئك الباغين وتحكيمهم فى بلاد قوم آخرين

إن قال ذلك القائل هذا القول وأورد علينا هذا الاشكال فاننا نجيبه بان مايراه هو مشكلا لانراه نحن كذلك . فاننا نرى أن الامم المستضعفة الظالمة لنفسها المظلومة من قبول الاقوياء المسلطين عليها بما كان من تفريطها . لم يمحصها ما حل بها ويرجعها الى رشدها ، وإن الدول الباغية الظالمة قد ذاقت من الشدائد التي تعامل المستضعفين بها ، ولم تتب وترجع الى ربها ، وكذلك شأن الدول والامم التى غلبت بهذه الحرب على أمرها ، فالعقاب الالهى لكل أمة ودولة لم ينته بهذه الحرب ولا هى انتهت بما وضع من معاهـــدة الصلح مع بعض المتقاتلين دون بعض

وما ذكرنا من فوز بعضهم وعلو كلمته بما بيناه من سببه . لادليل على ثباته ودوامه ، وإذا طال العهد عليه بحثنا عما اقتضى ذلك من أسبابه

وسنن الاجتماع فيه . وإنما نرى هذا الفوز والفلاح يكاد يجر وراءه أسباب خسار وخذلان ، أهمها خسران الانجليز ذلك الصيت الحسن الذى غرسوا فسيله ، وزرعوا بذوره . وتعاهدوا زرعه بما ينميه عدة أجيال ، حتى كانت الشعوب المتململة من سلبهم استقلالها تفضلهم على غيرهم ، والشعوب المتألمة من غيرهم تتمنى لو تتفيأ ظل حكمهم ، ولكن لايزال فى الشعب الانجليزى ذى العرق الراسخ فى مكارم الاخلاق وبعد الروية وطول الاناة وحب العدل والانصاف رجال يرجى أن يرجحوا القوة المعنوية ، على القوة المادية ويراعوا الانقلاب الاجتماعى الجديد الذى فجرت هذه الحرب قواه التى جمعت فى عهد بعيد ، كما تتفجر البراكين من الارض باخر نقطة أو دفعة من الغازات المولده للضغط فاذا قدر هؤلاء الرجال على مقاومة الاطماع الاستعمارية ووضعوا لدولتهم سياسة جديدة تتفق مع مصالح مصر والهند والعرب والفرس وسائر الشعوب ببقائها على مراعاة ما أشرنا اليه من الانقلاب الاجتماعى الاكبر . إذا قدر هؤلاء الفضلاء العقلاء على ماذكرنا . وتركوا لهذه الشعوب استقلالها فى ادارة بلادها وسياستها وحالفوها على أن يكونوا هم المقدمون على جميع أمم المدنية فى مساعدتها العلمية والفنية التى تقرر استقلالها وتعمر بلادها ورضوا من المكافأة على ذلك بالمنافع الاقتصادية والادبية التى تكون بالتراضي لابالقوة الاحتلالية فانهم يؤسسون

لشعبهم السكسونى المجيد . مجـدا طريفا إلى مجده التليد بحيث يرجى أن يكون خالدا لا يبلى ولا يبيد . ما لم يرجع عن هذه الطريقة أو يحيد وحينئذ تكون له العاقبة المحمودة ويسترجع أضعاف ما فقد من ثروته المالكة من غير نفقات كبيرة . كالنفقات التى لا يزال يتكبدها باحتلال البلاد المغلوبة . ويكون سببا لاصلاح الكون وعمران الارض

أكتب هذا باملاء العقيدة الثابتة المؤيدة بالدلائل الاجتماعية الناهضة لا بباعث الاغراض القومية . أوقصد الابهامات السياسية تاركا تصديقه للزمان وتفسيره لحوادث الايام وسنن الله فى الانام لا مبدل لسنته ولا معقب لحكمه ولا راد لمشيئته

(المنار) من تأمل هذا المقال رأى كيف أن التاريخ يعيد نفسه وكيف أن ضعف الفضيلة وتغلب الافكار المادية فى أوربا الآن سيدفعان بل قد دفعا فملا دولها إلى حرب عامة طامة ليعلم أيها الاقوى ليسود العالم كما وقع ذلك من قبـل . وكيف أن انجلـترا كانت ولا تزال تضرب بعض الامم ببعض وتـكون هى الرابحة . وكيف أن دهاء اليهود ونفوذهم المالى يعمل عمله دائما وراء الستار فى كل فتنة وكيف أن جعجعة خطب الرئيس ولسن قد ذهبت فى الهواء بعد انتصار الحلفاء وجرف السياسة الاوربية على سنتها من الاستغلال والاستبداد وكيف أن انجلترا لم تأخذ بهذه النصيحة الذهبية التى أسداها اليها صاحب المنار منذ عشرين سنة ولم يوجد فيها بعد أولئك الرجال الذين يقاومون الاطماع الاستعمارية ويضعون لدولتهم سياسة جديدة أساسها العدل والانصاف

دعوي علم الغيب

ومنابذتها لاصول الاسلام

لاريب أنه قد جاءت آيات وأحاديث فى أفراد الله تعالى وحده بعلم الغيب وهى كثيرة ونقتصر هنا فى الآيات على مافى سورة الانعام والنمل والجن قال تعالى: (وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها الا هو) (قل لايعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله) (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) ومن الأحاديث حديثى ابن عمر فى البخارى وعائشة فى مسلم فالذى فى البخارى قوله « ﷺ » « مفاتيح الغيب خمس لايعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير » والذى فى مسلم هوقول عائشة «ض» « ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية إلى أن قالت فى بيان الثالثة ومن زعم أنه يخبر بما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لايعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله » وقد بسط ابن العربى فى أحكام القرآن القول فى هذه المسئلة أول سورة الانعام وحكم بكفر من دعى علم واحدة من الثلاث المذكورة فى كلام عائشة « ض » وحكى ابن الحجاج فى حاشيته على « صغير ميارة » الاتفاق على كفر من يقول ان الأنبياء يعلمون ما كان ومايكون إلى يوم القيامة ونقل ابن حجر فى الاعلام بقواطع الاسلام وابن عابدين فى حاشية الدر المختار وغيرهما من الفقهاء فى المذاهب الاربعة كفر من ادعى علم الغيب قال الشاطبي فى الموافقات جزء ٤ صحيفة ٨٤ «وقد تعاضدت الايات والأخبار وتكررت فى أنه لايعلم الغيب الا الله وهو يفيد

صحة العموم من تلك الظواهر حسب ما مر في باب العموم من هذا الكتاب فاذا كان كذلك خرج من سوى الانبياء من أن يشتركوا مع الانبياء صلوات الله عليهم في العلم بالمغيبات قال بعض العلماء ويراد بعلم الانبياء بالغيب ما كان عن طريق الوحي كما لا يخفى وقد ذكر ابن قتيبة مبتدعي علم الغيب للمخلوق مع الحكم بكفرهم فقال في رسالته الاختلاف في اللفظ غلت الرافضة في حب علي وفي علم الغيب للائمة من ولده وتلك الأقاويل التي جمعت الى الكذب والكفر إفراط الجهل والغباوة انتهى صحيفة ٤٧ باختصار على موضوع البحث قلت وقد سرت هذه البدعة في الرافضة الى متأخري الصوفية وقد ظهر شيخ جديد من الاكراد اسمه الشيخ نوري البريفكاني أخذ يدعو الناس منذ خمسين سنة بلسانه وبكتب ألفها الى قواعد وأصول تتنافى مع الروايات والأحاديث بدعوى أنها كرامات وسلك بذلك مسلك الغلاة من متفلسفة الصوفية حيث جعلوا دعوى علم الغيب وما هو أفظع منها من قبيل الكرامة وجهلوا أن شرط الكرامة ألا تصادم أساس الدين ولذلك قيد النووي في بستان العارفين الكرامة بألا تؤدي الى رفع أصل من أصول الدين نقله ابن علان في شرح رياض الصالحين جلد ٧ ص ٣٦١ وهو قول أبي اسحاق الشاطبي في الموافقات حيث قال « لا يصح أن تراعى وتعتبر » أي الكرامة « إلا بشرط ألا تصدم حكما شرعياً فان ما يصدم قاعدة شرعية أو حكما شرعياً ليس بحق في نفسه بل هو إما خيال أو وهم من القاء الشيطان » ذكره في الجزء الثاني ص٢٦٦

وقد كثرت الكتب التي تقرر هذه الدعاوى وتذيعها في الناس من مؤلفات المحدثين والقدامى من غلاة الرافضة ومتفلسفة الصوفية وعم خطرها وزاد شرها وضررها

وقد تداولتها الايدي أكثر من تداول صحيح البخاري وعمل بها الكثير من الناس في أكثر البلاد على رغم ما فيها من الاحداث المبتدعة الهادمة للدين أصولا وفروعا فمحت آثار الايمان من قلوب العاملين بها الا قليلا ممن صانه الله وحماه وأيده

عنها وذلك لغلبة الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسله

فالله الله يا أمة الاسلام ويا علماء الدين أن تدعوا هذه الكتب من غير انكار وتحذير منها وبيان لما فيها من الضلال البعيد فضلا عن ان تداقعوا عنها وتروموا بقاءها مندمجة فى كتب الدين الاسلامى الحقيقى فانكم والذى لارب غيره إن تفعلوا ذلك لابد أن تستوجبوا مقت الله وغضبه وأن تلاقوا الصغار والهوان فى هذه الدار وتلك الدار فنحن نطالب كافة العلماء أن يقوموا بما أوجب الله عليهم من انكار تلك الكتب ونحوها من كل كتاب فيه مصادمة لكتاب الله فى دعوى علم الغيب لغير الله وأنبيائه ونحو ذلك من الأمور المبتدعة التى هدموا بها عماد الدين وقوامه فاذا فعلوا ذلك ونصروا الله ودينه واغتاروا لله ولانبيائه مما وقع فى تلك الكتب من الالحاد العظيم رجوا حينئذ نصر الله لهم قال تعالى «وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم» وقال سبحانه وتعالى إن تنصروا الله ينصركم فاما أنهم يرجون النصر من غير نصر الله والغيرة على دينه بل بمجرد المحافظة على الوحدة والوفاق بما يوجب خذلان الله ومقته وتسليطه الاعداء على المسلمين فذلك غرور وأمانى باطلة لأن الله تعالى قد علق نصره بنصر العباد لدينه وأكد ذلك فى غير ما آية ومعلوم أن ما ربط الله به حصول المسببات عند تعالى أسبابها لا يمكن تخلفها فضلا عن أن يوجد عكسها وهو أن ينصر سبحانه وتعالى من يخذل دينه فان مفهوم مخالفة آية إن تنصروا الله ينصركم إلا تنصروه لاينصركم وقد أشار الى هذا المفهوم منطوق آية وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وهذه الآية تدل على أن ما عدا نصر الله لا يكون سببا لنصره هو سبحانه لعباده وعلينا أن نتأمل فى حالة النبي ﷺ فى أول مبعثه وما شجر بينه وبين قومه من الحروب والخلاف لأجل اقامة الدين وازاحة البدع وكيف جعل الله عاقبة ذلك النصر المبين ثم من بعد ذلك لما حدث هجر العمل بما كان عليه النبي ﷺ من الجهاد لاعلاء كلمة الدين كيف أن المسلمين من ذلك الحين

لازالوا فى انحطاط ورجوع الى الوراء وماذلك الا لأنهم وضعوا أسبابااخترعوها من قبل أنفسهم وهى أن الوفاق وترك الجهاد وعدم إقامة أحكام الدين واستبدالها بالقانون الوضعى كل ذلك يوجب لهم الراحة والاتحاد والوفاق وعدم الاضطراب وهب أن ذلك يحصل لهم الراحة ونحوها مدة من الزمان استدراجا ومكرا فى حياتهم الدنيا فأنى لهم المخلص والنجاة من يوم يجعل الولدان شيبا هذا مارأيت إبداءه لاخوانى المسلمين لما رأيته من كثرة تطلبهم للوحدة والوفاق وتفرقهم عما يوجب التفرق والشقاق ولو بانكار أعظم المنكرات التى يترتب على انكارها نصر الله نصرا عزيزا وماذلك إلامن عدم تمسكهم بالكتاب العزيز مشيا منهم مع مبادىء النظر وعدم التفاتهم الى وعد الله عباده المؤمنين فان كنت غالطا فيما أبديته نصيحة لعامة المسلمين فالمرجو من الاخوان ارجاعى إلى الصواب والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه والسلام عليكم أيها المسلمون ورحمة الله وبركاته

محمد على بن حسين العراق

وصف الدنيا

وأحذركم الدنيا فانها منزل قلعة . وليست بدار نجعة قد تزينت بغرورها . غرت بزينتها . هانت على ربها . فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها وحياتها بموتها . وحلوها بمرها لم يصفها الله تعالى لأوليائه ولم يضن بها على أعدائه خيرها زهيد وشرها عتيد . وجمعها ينفد . وملكها يسلب . وعامرها يخرب فاخير دار تنقض نقض البناء وعمر يفنى فيها فناء الزاد . ومدة تنقطع انقطاع السير؟ اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبكم واسألوه من أداء حقه ما سألكم وأسمعوا دعوة الموت آذانكم قبل أن يدعى بكم . إن الزاهدين فى الدنيا تبكى قلوبهم وان ضحكوا . ويشتد حزنهم وان فرحوا

الامام على فى نهج البلاغة

تراجم اسلامية

الشيخ محمد عبده

(١)

الآن تعود (المنار) إلى الميدان. بعد ما اختار الله مؤسسها السيد رشيد رضا إلى جواره. في عنفوان جهاده، وفورة نتاجه مع ما كان عليه من كبر السن، وتقدم العمر — أحوج من نكون اليه في عصر اختلفت فيه المقاييس، وقلبت فيه الأوضاع — تعود قوية نشيطة. تزخر بالحياة وتنبض بالحرارة، وتتدفق حيوية، وتفيض إيمانا. على أيدي فتية الشباب من خيرة المسلمين متبعى السلف الصالح. قد وهبوا لله أنفسهم. وأرواحهم خالصة لوجهه. مستبسلين في ميدان الجهاد. غير هيابين ولا وجلين. مولين وجوههم شطر كتابه العزيز يذيعون تعاليمه ودعوته. دعوة القرآن الكريم. دعوة القوة والمجد، والعز الاسلامي الذي لا يعرف الذل، ولا يلتقى والخور في قرن. وينشرون قواعده التى عرفها الناس صالحة نافعة وأسسه التى جربها العالم، وعرف أن فيها سعادته التى لا تعرف الشقاء. وهناءته التى لا يشوبها الألم.

أجل تعود (المنار) الى الميدان جادة لتواصل السعي، وتداوم الجهاد والكفاح الذى من أجله أنشئت، وفى سبيله عملت، وتحقق الغرض الذى طالما استشرف اليه المخلصون المؤمنون. حتى كانت مثلا أعلى فى الدفاع عن بيضة الدين، والذود عن حياضه. وفى أسلوب يساير المدنية ولا يتعارض والعلم، ولا يضعف بجانبه فينزل على تعاليمه ونظرياته الدائمة التحول والتبديل والاضطراب. بل

يجعل من نظرياته وآثار حضارته دليلا على حكمة الله من خلق السموات والارض الذي هو أكبر من خلق الناس . لو تذكروا وتحررت منهم العقول . !

تعود لترفع الراية وتحمل اللواء ،وتتقدم الصفوف حيث التضحية التي لا تعرف جبنا ، والشجاعة التي لا تقل من صلابتها في الحق شدة ، ولا يضعف من عزمها كارثة مهما تأزمت حلقاتها .

وأعتقد أنه من الوفاء لرجل كان له أكبر نصيب في تأسيس (المنار) وهو الامام الشيخ محمد عبده . أن نخصه ببضع مقالات نتناول فيها بالتحليل شخصيته مع بعض النواحي التي تعنى قراء (المنار) ونتتبع دعوته بالنظر الدقيق . لننظر كيف أثرت هذه الدعوة في العالم الاسلامي ، وكيف هزت صلد القلوب فألانتها وغزت جامد الافئدة فحركتها ، وطرقت مقفل الاذان ففتحتها ، وكيف وقف التاريخ يسجل لهذا الرجل في انصاف واعجاب .

واليك من تاريخ الامام ما يحدثك عن نشأة المنار .

جاء السيد رشيد رضا الى مصر وقد وضع نصب عينيه صحبة الامام . ثم إنشاء صحيفة اصلاحية ينشر فيها حكمته وخبرته ، فوصل الى الاسكندرية مساء الجمعة ٨ رجب ١٣١٥ ﻫ فاقام فيها أياما ثم انتقل منها الى طنطا فالمنصورة فدمياط ثم عاد الى طنطا ومنها الى القاهرة قبل الظهر من يوم ٢٣ رجب وفي ضحوة اليوم الثاني ذهب الى زيارة الاستاذ الشيخ محمد عبده في داره بالناصرية ، واستشار السيد أستاذه في إنشاء الصحيفة التي يريدها ، وشاوره في تسميتها وذكر له اسم (المنار) مع أسماء أخرى . فاختار الاستاذ الامام اسم « المنار » ثم شرع السيد في تحريره وكتب فاتحة العدد الاول بالقلم الرصاص في جامع الاسماعيلي المجاور لدار الاستاذ بالناصرية ، وكان ذلك في منتصف شوال ١٣١٥ ﻫ وذهب بها الى داره وعرضها عليه فأعجب بها كل الاعجاب ورضى كل ما ذكر

فيها من المقاصد والأغراض إلا كلة واحدة هى تعريف الأمة بحق الامام وتعريف الامام بحق الأمة . قال مامعناه « إن المسلمين ليس لهم اليوم إمام إلا القرآن . وأن الكلام فى الامامة منار فتنة يخشى ضرره . ولا يرجى نفعه الآن » فحذف السيد هذه الكلمة عن رأى أستاذه وإشارته .

فهذا الرجل الذى عرف قيمة جهاده الخاص والعام وسادت آراؤه بعد محاربة . وفشت نظرياته بعد مداهمة وإنكار . وطعن فى دينه وإيمانه ويقينه وحورب فى غير هوادة وتسمم الجو حوله حتى سرت كراهيته فى النفوس بفضل ماكان يذاع عنه . ويلفق ضده . واليك الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق يحدثك عن صورة من هذه الكراهية فى مقدمته لكتاب (الاسلام والتجديد فى مصر) .

« فى بعض سنوات الحرب . شهدت الجامعة المصرية . قبل ضمها إلى وزارة المعارف . حفلة جمعت جمهرة من شباب العلم . وخطب فيها طائفة من كبار الأدباء وكبار الأساتذة .

وكان يجرى على ألسنة الخطباء ذكر أئمة النهضة الحديثة فى مصر فى فروعها المختلفة من سياسية واجتماعيه وعلمية . فتهتف الجموع . ويبلغ حماس الشباب أقصاه . حتى إذا جرى ذكر الشيخ محمد عبده خفت هنالك صوت الشباب وفترت حدة الهاتفين .

انصرفت يومئذ حسيرا محزونا . أكاد أتهم بقلة الوفاء بلدا ينسى فيه فضل الشيخ محمد عبده بعد سنين . لكن عتبى على شبابنا كان ممزوجا برحمة . لأنهم لم يعرفوا من أمر الرجل شيئا يغريهم بأن يحبوه ويقدروه حق قدره .

ولعل قصارى ماكان يعرف طلاب العلم فى ذلك العهد من أمر الامام أنه كان شيخا مكروها هو وآراؤه من الشيوخ . كما يكره الشيوخ النار وصاحب

النار تلميذ الامام . »

واكتفي بهذه الصورة الآن لأن بسط هذا العنصر له مكانه في الكلمات المقبلة إن شاء الله . وكل ماأريد أن أخلص اليه . اننا في حاجة قصوى الى دراسة هؤلاء الذين استشهدوا في ميادين الجهاد . وراحوا ضحية بريئة لشهوات متضاربة وأغراض متناحرة تفتك بالامم . وتقوض الشعوب .

ومحمد عبده علم من أعلام هؤلاء المجاهدين . فجدير بنا أن نعنى باثاره . وأن نعرف قراء (النار) حقيقة هذا الرجل حتى يغيروا تلك الصور القديمة عنه . ويأخذوا عنه صورة صحيحة واضحة المعالم . بينة التقاطيع . صورة أعاهد الله ألا يكون للشهوة فيها أصبع . ولا لحظ النفس منها نصيب . وستكون صورة هذا الرجل أول صورة من صور كثيرة اعتزمت بمشيئة الله رسمها على صفحات (النار) في عهده الجديد . وكل غايتي من هذه التراجم الاسلامية إنما هي القدوة الحسنة وترسم خطى العاملين الذين لم يألوا جهدا في سبيل الدعوة إلى الله ورفعة دينه واعلاء كلمته . لتجد النشء غذاءه النافع . جعل الله عملنا خالصا لوجهه . انه سميع مجيب ؟

يتبع عبد الحفيظ أبو السعود

من كلام الامام على رضي الله عنه

لوتعلمون ماأعلم مما طوى عنكم غيبه إذا لخرجتم الى الصعدات تبكون على أعمالكم . وتلتدمون على أنفسكم . ولتركتم أموالكم لاحارس لها . ولا خالف عليها . ولهمت كل امرىء نفسه لايلتفت الى غيرها . ولكنكم نسيتم ماذكرتم وأمنتم ماحذرتم فتاه عنكم رأيكم وتشتت عليكم أمركم .

نهج البلاغة

انتقاد المنـــار

حول فتوى آيات الصفات وأحاديثها

جاءنا من حضرة الفاضل صاحب التوقيع الخطاب التالي ننشره مع رده فيما يلي

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ حسن البنا رئيس تحرير مجلة المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فان احتجاب المنار بموت صاحبه عليه رحمة الله تعالى كان من دواهي أسف المسلمين جميعا بل حزنهم العميق ، ولم يكن ذلك طبعاً لأنها مجلة اسلامية فقط . بل كان ذلك لما علمه قراء المنار من الميل مع الحق أينما كان وعدم المبالاة بكائن من كان في سبيل كلمة الحق وبيانها وإيضاحها ولا أظنك تجهل مواقف صاحب المنار عليه رحمة الله مع كثير من أخص أصدقائه فانه لم يكن يعرف الا الحق ولو أغضب الحق صديقه أو جميع الناس ولم نعهد فيه رحمة الله عليه مداهنة ولا محاباة ، وبذلك كان للمنار وصاحبه تلك المنزلة التي تعرفونها في نفوس جميع أهـل الملة المحمدية . فاذا كنتم تريدون السير بالمنار سيرته هذه فلاشك أنها إن شاء الله تعالى ستحيي حياتها الاولى وإلا فاسم المنار وحده لا يغني شيئا .

لقد استفتاكم مستفت فيما شجر من الخلاف بين مجلتي الهدى النبوي والاسلام فاذا افتيتم ؟ إن رأي المنار في موضوع الخلاف بين المجلتين معروف مسطور في أعداد المنار السابقة ؛ فهل تفهم من فتواكم هذه أن المنار يتنكر لماضيه ، وينسى برنامجه؟ لقد قلتم ياسيدي الاستاذ إن كنتا الجانبين على الحق !!! ولا يعقل فيما نعلم

أن يختلف اثنان على أمر واحد ينفيه أحدهما ويثبته الآخر ثم يقال انهما جميعاً على الحق ، لا . . ليس هذا شأن المنار الذى عرفناه وبكيناه لما احتجب . نرجو أن تصارحونا بالحق فى أى الجانبين هو كما عودنا صاحب المنار ان كنتم تنصرون الحق لله وفى سبيل الله والسلام عليكم ورحمة الله .		قارىء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه وآله وصحبه ومن والاه

« وبعد » فعلى حضرة القارىء المحترم السلام ورحمة الله عليكم وبركاته وكنت أود أن يتكرم باظهار اسمه حتى نتعارف فى سبيل البحث من الحقيقة ولعله — وفقنا الله وإياه — رأى فى ستر اسمه معاونة على خدمة الحق للحق بدون نظر إلى الصلات الخاصة بين المتباحثين فنحن نحسن الظن ونشكر للاخ الفاضل خطابه مؤكدين دعوتنا الاولى لجميع اخواننا فى انتقاد مايرونه مستحقا للانتقاد فى المنار حتى نتعاون الجهود على الوصول للحقيقة ويسرنا أن نعلن أننا ننتهز مثل هذه الفرصة لنسلك بالنقد الأدبى مسلكا نبيلا لاهجر فيه ولا إقذاف ولا تجهيل ولا تضليل ولنكمل به أنفسنا فان الكمال لله وحده والعصمة لانبيائه صلوات الله وسلامه عليهم ومن ادعى لنفسه الكمال أوظن بها ذلك فهذا عين النقص ونسأل الله ألايحرمنا من يبصرنا بعيوبنا ويحملنا على الصواب والسداد والى الكاتب والى حضرات القراء الفضلاء رأينا فيما ورد فى هذا الخطاب .

(١) نسب الينا الاستاذ الكاتب أنناصرحنابأن كلتا المجلتين على حق وبنى على هذا أنه من غير المعقول أن يختلف إثنان على أمر واحد ينفيه أحدهما ويثبته الاخر ثم يقال انهما جميعاً على الحق وحضرته لهذا يرجو أن نصارح بالحق فى أى الجهتين هو ؟

ولا أدرى من أين جاء حضرته بهذا التصريح الذى نسبه إلينا إن كان قد جاء به من تصريحنا بأن كلا الفريقين فى نظرنا أصدقاء لنا وممن يتصدون للدعوة إلى الخير فليس معنى هذا تصويب رأى أحد منهما ولا كليهما فى موضوع نزاع بعينه والذى صرحنا به فى موضوع الخلاف أن كلا الفريقين غير محق وأن موضوع الخلاف من أساسه لا يصح أن يكون خلافا وليس بلازم أن يكون كل مختلفين أحدهما محق والآخر مبطل بل قد يكونان مخطئين جميعا وهو ماصرحنا به بوضوح فإن فريقا تغالى فى التأويل وفريقا تغالى فى الجمود. ورأى السلف فى ذلك وهو رأى المنار الذى يشير إليه حضرة الكاتب وهو رأينا الذى أوضحناه فى مقالنا أن مذهب السلف. ترك الخوض فى هذه المعانى مع اعتقاد تنزيه الله تبارك وتعالى عن أمثالها المنسوبة لخلقه وإمرارها كما جاءت وتفويض علم حقائقها إلى الله فمن فسر الاستواء بالاستيلاء فقد تورط فى التأويل وألزم نفسه غير ما ألزمه الله به ومن فسره بالاستقرار فقد تورط فى التشبيه وأوهم سامعه جواز نسبة صفات المخلوقين إلى الخالق فإن قال (هو استقرار يليق بجلاله) فهو إذن لم يأت بشىء والأولى أن يقف عند النص، والحق فى هذا وأمثاله أن يقال استوى استواء يليق بجلاله مع اعتقاد عدم المشابهة وتفويض الحقيقة إلى الله إلا أن تقوم قرينة لا تدفع تصرف اللفظ عن ظاهره فنقف عند حدود هذا الصرف ولا نتجاوزه كما ذهب إليه السلف فى معية الحق تبارك وتعالى بعلمه لا بذاته

تلك أمور فصلناها وقررناها ولمنا الفريقين على أنها طرقا بحوثا كهذه بمثل الأسلوب الذى خاضوا به فيها وبذلك حققنا رجاء الكاتب وصارحناه بأن الحق ليس فى احدا الجانبين فأين القصور إذن؟

(٢) هذا من حيث موضوع النزاع ورأى المنار فيه بالذات وأظن أن فيما نقلناه فى باب التفسير فى هذه المعانى كفاية ومن أراد الاستزادة زدناه حتى يعلم

أن المنار لايتنكر لماضيه في الحق ولا ينسى برنامجه من الصدع به ولا يناقض نفسه في الصواب وبقي بعد هذا أن نذكر حضرة الكاتب ببعض مافاته معرفته من برنامج المنار الذي سارت عليه في ماضيها وتريد أن نسير بها عليه في حاضرها

صرح صاحب المنار بقاعدة وأسماها قاعدة المنار الذهبية فقال (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه) فواطن الخلاف ياسيدى يقدم فيها العذر على التجريح وسوء الظن وذلك ماسنسير عليه إن شاء الله وقد قضى صاحب المنار حياته وهو يصدع بالتحرر من الجمود وينعى على أهل التقليد الاعمى الذين يقدمون أقوال الناس التي لم يقم عليها دليل على الأدلة الواضحة بغير برهان بين أيديهم إلا أن هذا قول فلان وفلان فهل يريدنا حضرة الكاتب على هذا التقليد الذي نعاه صاحب المنار على أهله؟ أم يريدنا متبعين للدليل والحق ندور معه كيفما دار وإن خالفنا صاحب المنار؟ وأظن أن حضرة الكاتب يذكر أن الشافعي كان من خلصاء تلاميذ مالك رضى الله عنهما وكلاهما في جلالة قدره ورسوخه في علمه وتقواه له بالمنزلة التي لاتتسامى اليها القوادح ومع هذا فلم يمنع هذا الشافعي أن يخالف مالكا وأن يكون له رأيه ومذهبه

فنحن مع المنار وصاحبه عليه رحمة الله ورضوانه في الاصول الاساسية التي لاخلاف فيها في منهاج الاصلاح العام وخطته وفيما وضح الحق فيه واستبان وجه عليه الدليل في الشئون التي فيها مجال للتفكير والنظر ولا يمنعنا هذا من أن نخالف صاحب المنار رحمه الله في الأمور التي لم يقم عليها الدليل المقنع في نظرنا على أن ندلي برأينا وحجتنا وندع لكل من أراد التنبيه أن ينبهنا لما فاتنا والله الموفق للصواب ؟

حسن البنا

موقف العالم الاسلامي السياسي

انتهت حرب الكلام بين الدول الأوروبية المتناحرة وتغيرت الاوضاع الدولية فى اوروبا فاخفق اتفاق انجلترا وفرنسا مع روسيا وحل محله ميثاق روسى الماني وكانت مفاجأة غير منتظرة وأمر أدهش له العالم أن يتفق الهر هتلر — وهو الذى بنى دعوته الاولى على مكافحة الشيوعية الروسية وانطوى لها على أشد حالات الخصومة والبغض مع زعماء هذه الشيوعية التى ندد بها ونال منها ولكن القوم فى أوروبا لايعرفون إلا المصلحة المادية وسرعان ماينسون المبادىء والعقائد والافكار مهما كانت سامية نبيلة — وتبع ذلك أن تشددت عزيمة ألمانيا فأقدمت على غزو بولونيا واجتياحها بالقوة المسلحة وردت انجلترا وفرنسا على ذلك باعلان الحرب على ألمانيا وسوق الجيوش إلى الميدان الغربى حيث رابطت أمام خط سيجفريد الالمانى — وكانت مفاجأة أخرى أن تقدمت روسيا بجيوشها تجتاح القسم المجاور لها من الأرض البولونية وبذلك تم للجيوش الالمانية والروسية أن تقضى على استقلال بولونيا وتتوزع فيما بينها أرضها وتضطر حكومتها إلى الفرار حيث تألفت فى باريس من جديد ومهما كان من خلاف بين الروس والالمان على خط الحدود فان الامر الواقع الآن أن بولونيا قد قسمت مرة أخرى بين روسيا والمانيا والذى يجب أن نلفت اليه أنظار الشعوب الاسلامية أن

بولونيا تضم ستين الفا من المسلمين غالبيتهم فى أنحاء فيلنو ونوجرديك وقد أقاموا فى بولونيا منذ القرن الخامس عشر الميلادي وكانت الجمهورية البولندية تسمح لهم باقامة شعائر دينهم بتمام الحرية فأخلصوا لها كل الاخلاص وحاربوا فى صفوفها واشترك عدد كبير من ضباطهم وهم معروفون بالشجاعة والاقدام ـ شأن المسلم المجاهد ـ فى الحرب الاخيرة ودافعوا كثيرا عن المدينة المعدودة مركز الاسلام في بولندا وفيها يقيم المفتى الحاج الدكتور يعقوب سليمان شينكيفتش . والآن وقد صار هذا القسم تحت حكم البلشفية الروسية فهل تدع حكومة السوفيات المسلمين فيه يتمتعون بشعائر دينهم وحريتهم كما كانوا فى عهد الحكومة البولونية؟ أم أنهم سيعملون على بلشفتهم ويحاربونهم فى عقائدهم ويهدمون ما بقى لهم من مساجد ومعابد كما فعلوا بهم ذلك من قبل حين اقتسمت روسيا والمانيا بولنــــدا فى أواخر القرن الثامن عشر ؟ من واجب الحكومات الاسلامية وبخاصة الحكومة التركية التى هى على صلة بالروس والتى هى أقرب حكومات المسلمين الى بولندا أن تتحرى ذلك وأن تعمل على حماية هذه الجالية الاسلامية الشديدة المتمسكة بدينها القديم . ولا ندرى هل تصغى حكومة تركيا إلى هذا النداء أم تعتبره شأنا إسلاميا خاصا يتنافى مع ما اختارته لنفسها من أن تكون حكومة «لادينية » ؟..

كان اجتياح بولندا سببا فى تخوف دول البلقان وفى تردد تركيا

بين المعسكرين المتخاصمين محور موسكو برلين تارة ومحور فرنسا وانجلترا تارة أخرى ووقفت ايطاليا موقف المترقب المنتظر ولم تحدد موقفها تحديدا صريحا بعدوأخذت اليابان ترقب هى الاخرى مجرى الحوادث وأعلنت أمريكا سخطها على عمل المانيا ولم تعترف بالحالة الواقعة فى بولندا الان واعتبرت الحكومة البولونية القائمة فى فرنسا حكومة شرعية واعترفت بها وارتفعت صيحات بوجوب الصلح ووضع الحسام والاتفاق على ماير يح العالم من عناء الحرب ولا ندرى ماذا ستلقاه هذه الدعوة من الاصغاء وماسيكون لها من النجاح وان كان أغلب الظن أن هذه النفوس الظمآى الداوية بالاطماع والاهواء سوف لا يرويها إلا الدم المتفجر من البشرية الذبيحة

ذلك هو الموقف الدولى عامة فما موقف العالم الاسلامى خاصة؟!.

لقد قدمنا أن العالم الاسلامى قضت عليه ظروف وأوضاع أن يرتبط بالدول التي تسمى نفسها ديمقراطية وهى انجلترا وفرنسا ارتباطا وثيقا وأن تشتبك مصالحه بمصالحها اشتباكا قويا وقد برهنت الحكومات والشعوب الاسلامية من جانبها أنها وفية لهذه المصالح مقدرة الموقف تمام التقدير منزهة عن العبث والكيد الرخيص والاستغلال الذى لا يتفق مع الشرف الدلىء والنزاهة النبيلة وأخذت الحكومات المتعاهدة مع انجلترا كمصر والعراق تنفذ تعهداتها بكل إخلاص

ومع هذا كله فالى الان لم تقدم الدول الديمقراطيه دليلا واحدا على

تقديرها لهذا الموقف النبيل من الشعوب الاسلامية واكتفت بأن تتناولها ببعض كلمات المديح والاطراء فى الخطب والمقالات التى لا تقدم ولا تؤخر. فسوريا الجنوبية (فلسطين) لاتزال قضيتها حيث هى لم يؤثر فيها تصريح المفتى الاكبر بالثناء على فرنسا ولا كتابه للحاكم البريطاني ولا تصريح المجاهدين أنفسهم بأنهم لن يطعنوا انجلترا من الخلف ولن يستغلوا اشتغالها بالحرب الاوربية فى الاتفاق مع خصومها أو التقرب اليهم. وكان أقل مقتضيات رد الجميل فى مثل هذا الموقف أن تأمر الحكومة الانجليزية حالا بالافراج عن المعتقلين والتصريح بالعوده للمبعدين والعفو الشامل عن المسجونين واعادة النظر فى سياستها بالنسبة للحقوق العربية الواضحة

وسوريا الشمالية لا يزال الامر فيها على ما كان عليه ولم تظفر إلى الان من فرنسا حتى بوعد منها أنها ستعود إلى الانصاف والعدل بل حوكم كثير من رجالاتها وحكم عليهم بأحكام قاسية شديدة تقبلوها راضين هادئين .

وسوريا الوسطى (لبنان) تغير فيها نظام الحكم تغيرا تاما ولو الى حين كما يقول المندوب الفرنسى وأوقف دستورها وحكمت حكما أجنبيا مباشرا أوما يقرب منه

وكان من واجب الدول الدمقراطية أن تنتهز هذه الفرصة فتعدل سياستها مع هذا القطر الشقيق وبخاصة فرنسا التى شهدت أن أول دم

أهدر على أرضها وللدفاع عن حدودها أمام خط ماجينو إنما كان دم المسلمين العرب من المغاربة الجزائرين والسينغاليين

إن شعوب العالم الاسلامي قسمان قسم تحت سلطان الحكم الاجنبي المباشر وهذا لا يملك أمر نفسه ولا يستطيع أن يختط لنفسه طريقا خاصة فهو تحت رحمة الاقدار ونسأل الله أن يتداركه بلطفه ورحمته

وقسم قد تحرر ولو بعض الحرية فمن واجبه في هذه الظروف العصيبة حكومات وشعوبا أن يكون دائم اليقظة والتنبه للحوادث والمفاجآت فلا يتورط في خطوات وخصومات هو في غنى عنها ولا تعود عليه بشيء وليلتزم الحدود التي رسمتها له الاتفاقات والمعاهدات — وعليه أن ينتهز هذه الفرصة للاسراع في أعداد العدة وتقوية نفسه تقوية تنفعه في المستقبل وتحفظ عليه كيانه واستقلاله بعد أن تضع الحرب أوزارها وعليه كذلك أن يكون مطمئنا هادئا فاننا إن لم نستفد من هذه الحرب القائمة فلن نخسر فيها أكثر مما يخسر غيرنا والصلح خير لنا والحرب ليست بضارة بنا وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم

« حسن البنا »

تعليق

تحدث إلينا الاخ الفضال السيد عبد الرحمن عاصم وكيل المنار السابق ببعض ملاحظات حول العدد الماضي وقد ضاق عنها فكان هذا العدد وسنتحدث عنها في العدد القادم إن شاء الله

السيد محمد رشيد رضا

بقلم وكيله وابن عمه السيد عبد الرحمن عاصم

ولد السيد محمد رشيد رضا فى ٢٧ من جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ وتوفى فى ٢٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٤

وتربى تربية عالية لم تتحكم فى نفسه عادة من العادات السيئة الضرة كالتدخين وادمان شرب القهوة والشاى وأخذ إخذ الامام الغزالى بكتابه الاحياء من أول بدئه بطلب العلم .

وراض نفسه عليه واتخذ له خلوة بالغرفة الشرقية على البحر من جامع جده فى قرية القلمون لدرس العلوم والتعبد بالصلاة وتدبر القرآن الحكيم .

وتصدى من ذلك الحين للوعظ والارشاد بالحكمة والموعظة الحسنة فالسيد رشيد طلب العلم بالاخلاص وتوجيه الارادة ليكمل به نفسه ويؤهلها للاصلاح الدينى الاجتماعى فكان من أشجع دعاة الاصلاح وأشدهم جرأة فى مواطن الحق على الحكام والعلماء غير هياب ولا وجل . ولولا أنه كان راسخا فى إيمانه واثقا بصحة علمه ومخلصا فى وعظه وإرشاده لما تجرأ على نقد حكام الدولة العلية فى العصر الحميدى والاتحادى . وقد أصابه أذى كثير منهم فى والده وأسرته من بعد ما عرضوا عليه أوفى وأحسن ما تصبو اليه نفوس طلاب الدنيا من رتب ومناصب وغيرها ليسكت عنهم ويسخر قلمه فى خدمتهم .

هذا ولم يتهيب بريطانيا العظمى وطعن فى تعسفها فى حكم قومه وأهل ملته

وألبهم على مخالفتها بوسائل مختلفة وحذرهم من مصادقتها لأنها خداعة مكارة وهو مقيم فى مصر تحت سلطانها .

ومن الأدلة على ذلك خطبته المشهورة أمام المرحوم أبي الثورة العربية الملك حسين فى جوع «منى» سأذكر خبرها وخطبته فى دار وجيه منوحماده «بيروت» فى القاهرة فى حفلة جمعت رجال السياسة العربية من أقطارها تحت ستار الترحيب بضباط عراقيين وسوريين قدموا إلى مصر — ليتقابل المجتمعون ويروجوا اتفاق سايكس بيكو على تقسيم بلاد العرب فيما بينهم . ولكن السيد رشيد عارض ذلك معارضة عنيفة حملت مستركلايتن باشا فيما بعد . وكان كالحاكم بأمره بمصر على معاتبة السيد رشيد على قوله فى الانجليز وبما أجابه به السيد : هل من العدل أن تمنع أمة ضعيفة من الدفاع عن نفسها إذا اعتدت عليها أمة قوية ؟ كفوا عن الهجوم علينا لنكف عن الدفاع عن أنفسنا .

وكم حاول سمو الخديو السابق أن يفرق بين السيد رشيد والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده بالترغيب والترهيب لهذا مرة ولذاك مرة ولم تنجح محاولاته عندهما وكان جواب الاستاذ الامام لبطرس باشا غالى الوفد من الخديو أحب أن تعلم ويعلم الخديو انني أفضل أن أعيش أنا والسيد رشيد ههنا فى رمل عين شمس على البقاء فى منصب الافتاء وعضوية مجلس ادارة الأزهر لأن هذا الرجل متحد معي فى العقيدة والفكر والرأى والخلق والعمل . . وأجاب الاستاذ الامام أيضا فضيلة المرحوم الشيخ محمد شاكر وكيل الازهر على رسالته من الخديو (كيف أرضى بابعاد صاحب المنار وهو ترجمان أفكارى)

ومن كلام السيد رشيد للشيخ على يوسف صاحب المؤيد جوابا عن رسالته الخديوية . . ولكن لى غرضا من تعظيم قدر (الشيخ محمد عبده) وتفضيله هو

فوق فائدة انتشار المنار بكثير . وهو أن الاصلاح الاسلامى الذى أدعو اليه لا ينهض الا بزعيم تثق به الامة ولا أعرف أحداً أجدر منه أو يساويه فى استحقاق هذه الزعامة ولما لم تلن قناة السيد لسمو الخديو أراد إخراجه من مصر وبلغ ذلك رياض باشا الشهير وخاطب السيد فى هذا الشأن بقوله هل تغير شيئاً من خطة المنار ؟ قال السيد حاشا لله . ما كنت لأغير عملى التابع لعقيدتى وخلقى وكل فضيلة لمصر عندى أنى أستطيع فيها خدمة ملتى وأمتى بما أعتقد أنه الحق النافع فاذا زالت هذه الحرية منها فلا يحزننى الخروج منها وأنا لا أملك فيها شيئاً قال الباشا للسيد : « كده أريدك »

هذا وقد ألف السيد كتاباً فى نقد بعض أكابر علماء الأزهر سماه المنار والأزهر . والمال والرتب والوظائف ، عند الشيخ أبى الهدى والانحاديين فى الدولة العثمانية وعند الأزهر والخديوى والانجليز بمصر وقد حاولوا صرف السيد عن خطته الاصلاحية بشتى طرق الاغراء بالمال والمناصب وبترهيبه أيضاً بفنون الترهيب وصبر على أذاهم ولم يفتن بالمال ولم يغتر بالرتب ولم يرهبه الوعيد لأنه كان مخلصاً فى توجهه لخدمة أمته وملته

ومما عرف من صلابته وإخلاصه لقومه أن الانجليز لما عرضوا عليه أن يكتب مقالات أسبوعية فى صحيفة « الكوكب » التى أنشئت بالقاهرة لخداع العرب اعتذر فى كتاب الى نائب الملك ونجت باشا جاء فيه .

لو بذلتم لى المال أو استللتم لسانى أو قطعتم أناملى على أن أقول أو أكتب ما يخالف دينى وكرامة قومى العرب فانى لا أفعل . وجاءه رد بالاعفاء من ذلك التكليف واعتذر بأنه كان بخطأه كتكليف رئيس تحرير التيمس الكتابة بجريدة هزلية

ولما عزم السيد على أداء فريضة الحج فى أثناء الثورة العربية دعى إلى قصر عابدين وقدم اليه رئيس الديوان شكرى باشا صرة نقود قائلا . بلغ مولاى السلطان عزمكم على السفر الى الحجاز وأمرنى أن أقدم هذه النقود اليكم . أجاب

السيد . الحج على المستطيع وقد تهيأت لادائه بصحبة سيدتى الوالدة والشقيقة قال الباشا : خذها ثمن دعاء . أجاب السيد الدعاء لايقوم بثمن وسأدعو لمولاى السلطان ولخاصة المسلمين وعامتهم بما يلهمنى الله عز وجل . قال الباشا : خذها وتصدق بها فان الصدقة فى الحجاز بعشرة أضعافها أجاب السيد . ذلك صحيح ولكنى أحتار فيمن أعلى القليل الذى أتصدق به وقصور الملوك والسلاطين مفتحة الابواب للقصاد والوراد . قال الباشا . بما أعتذر إلى مولاى السلطان وعطايا الملوك لاترد . أجاب السيد أرجو أن تذكروا لمولاى السلطان ما عرفه به الاستاذ الامام من أنى لاأقبل عطاء بدون مقابل .

ولما كان السيد على عرفات تحققت عنده صحة الاشاعة بأن الحجاج سيدعون فى « منى » لمبايعة (الشريف) بالخلافة فذهب الى مخيم الشريف وذكر له ما بلغه وذكره بوعيد الحديث « اذا بويع لخليفتان » فقال (الشريف) رحمه الله إن تلك المساعى من رغبات أحد أنجاله والاتباع . ولما اجتمع الحجيج فى « منى » وتهيأ العلماء والخطباء والشعراء لتهنئة (الشريف) بالعيد ، جاء الشريف عبدالله والشيخ عبد الملك الخطيب باشا إلى السيد وطلبا منه أن يقول كلمته .

وكان (الشريف) يقف فى المناسبات فى أثناء الخطبة ويقول للسيد . صدقت . وبعد ذلك حضر الى السيد من يقول له إن الخطبة ينقصها أن تكون مقدمة لدعوة الناس لمبايعة سيد الجميع بالخلافة . ولكن السيد حول الحديث من سياسى الى أدبى وأجاب . أخشى أن يقال لى عندئذ ما قيل لذلك الشاعر الذى وهب الكرى الى العشاق . وهبت ما لا تملك إلى من لا يقبل

وسأقص على القارىء الكريم نبذاً أخرى من وسائل السيد الى بعض ملوك العرب ليقف منها على مقدار صراحته فى الحق وإخلاصه فى النصح غير مداج ولا مراء فن ذلك قوله فى كتاب الى جلالة الملك عبد العزيز (ولا أزال كذلك

أجاهد معكم مادمتم تجاهدون فى سبيل الله وإعزاز دينه) وفى آخر « وموضع العبرة أن الله تعالى قد استخلفكم فى الأرض التى فضلها على كل أرض لينظر كيف تعملون » ؟

ومن كتاب آخر (وقد عاهدناكم على أن نؤيدكم ونخدمكم فى إقامة السنة وهدم البدع وإحياء الاسلام على منهاج السلف فى أمور الدين ومستحدثات الفنون العصرية فى أمور الحرب والعمران

ومن أحسن ما كتب السيد الامام إلى امامى الجزيرة العربية صراحة وإخلاصا فى النصيحة لما وقع الشقاق بين الحكومتين اليمنية والسعودية . قال رحمه الله ورضى عنه (مهما يكن عليه أمر الحدود بين اليمن السعيدة والمملكة السعودية من حق سياسى أو جغرافى فلا قيمة له تجاه الاتفاق والتحالف بين المملكتين فكل منهما واسع الأطراف قابل لأضعاف ما هو عليه من العمران . فلا يعذر أحد منكما بتعريضه للخراب لأجل توسيع حدوده بحق أو باطل »

ثم قال يخاطب كلا من الامامين . إن جزيرة العرب هى تراث محمد رسول الله وخاتم النبيين الاسلام والمسلمين لا لعبد العزيز السعودى ولا ليحيى حميد الدين . فاختلافكما وتعاديكما يضيع الاسلام ولئن ضاع فى جزيرة العرب فلن تقوم له قائمة فى غيرها فيجب أن تتذكرا هذه التبعة وتتقيا الله وتحرصا على حسن الخاتمة)

وقد كان للاخلاص بهذه النصيحة وللوفد الذى أرسله السيد رشيد إلى الامامين أثر طيب لديهما وكان مولاى السيد يطلعنى على رسائله تربية لى وتمليا ولعلى أجد فيها حرفا ناقصاً أو زائدا لأصلحه وإذا وجدت فيها ما يستحق المراجعة فانه رحمه الله كان يسمعها ويمضيها إذا أقرها . وإن أنس لا أنسى أنى

وجدت شدة فى خطاب منه إلى جلالة الملك عبدالعزيز وراجعته فيها فغضب وقال لى . يا عاصم . أتريد أن تعلمنى المداجاة والجبن ؟ ! اقفل المكتوب وأرسله الى البريد . واعلم أن مزيتى عند الملك إخلاصى وصراحتى فى النصيحة ومزيته عندى انه يقبل النصيحة

والسيد الامام ما كان ليترك فرصة تفوته بدون تذكير طيب نافع ومن ذلك ما جاء فى كتاب منه الى المرحوم الملك غازى (. . . معتصمين بحبل الهداية الاسلامية التى اشتدت اليها فى هذا العصر حاجة شعوب المدنية كلها . إذهددت الافكار المادية دولها بالانحلال والاباحة الالحادية حضارتها بالزوال ولم يبق لها منقذ إلا الهداية الروحية الجامعة بين المصالح الدينية والدنية . . وقال فان تحرص على هداية دينك القويم ولغة قومك وحضارة أمتك وشرف بيتك وتضم إليها الفنون المصرية الرقية للزراعة والصناعة والتجارة والنظم المالية والقوى العسكرية تكن ان شاء الله من الملوك المجددين الجامعين بين سيادة الدنيا وسعادة الدين)

كان رحمه الله مضيافا مواسيا بماله أقليل أهل الحاج من الاسر المستورة مساعدا العاملين فى سبيل أمته وقومه فكم ساهم فى نفقات الوفود والجمعيات والمؤتمرات العربية السياسية . ولو لا الأزمة المالية التى أصابته مؤخرا لكان رزقه كفافا كافيا لنفقاته . ولكن توفى رحمه الله وعليه أكثر من الفى جنيه مصرى خلافا لما كان يحسب كثير من الناس .

نعم خلف مؤلفاته ومطبوعاته وهى أكثر من دينه ، بل هى ثروة علمية اصلاحية عظيمة تركها السيد الامام ذكرا وشرفا له ولقومه وأمته .

كان السيد مشغول البال دائما بأمته يفرح بما ينفعها ويحزن لما يضرها وكانت السيدة والدته تسأله اذا رأته مكتئبا . هل أحد من مسلمى الصين يشتكى

من شيء؟ . تريد أنه يكتئب اذا أصاب مكروه أحداً من اخوته فى الدين مهما بعدت داره ولو فى الصين

كان هم السيد المستولى على شعوره إصلاح شأن العرب والمسلمين بالتأليف والتعليم . وقد كتب فى التفسير والفتاوى وسائر ضروب الاصلاح ما لم يسبق اليه فى المقدار والفائدة وكان رحمه الله يقول لى . أخشى أن يحاسبنى الله عز وجل على عمرى فيما أنفقته وأ كون مقصرا فيما وجب على بيانه من أسرار الشريعة وحكمها وكان يأمرنى أن أغنيه بقدر الامكان عن مقابلة الزائرين ليبقى منصرفا الى التأليف . وقد فرح فرحا عظيما حين أتم أنفس كتبه تأليفا وطبعا أعنى به كتاب «الوحى المحمدى»

وأنشأ منذ ثلاثين سنة مدرسة دار الدعوة والارشاد عملا برأى الأستاذ الامام فى تعليم طائفة من مختلفى الأقطار العلوم الدينية مصفاة من الآراء والاهواء وكذلك العلوم الأخرى القديمة والحديثة بقدر مايكفى لتثقيفهم وإعدادهم للدعوة والارشاد (ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وقد نجح فى ذلك جماعة من الطلاب وفى مقدمتهم السيد أمين الحسينى الذى انتهت اليه الزعامة الدينية والسياسية فى فلسطين والشيخ يوسف ياسين أمين سر جلالة ملك المملكة العربية السعودية . والشيخ عبد الرازق المليح آبادى صاحب المؤلفات والصحافى المشهور فى الهند وقد سجن مع مولانا أبى الكلام الزعيم الهندى الكبير لمشاركته إياه فى جهاده . والشيخ محمد بسيونى عمران فى جاوة ومواقفه مشهورة بالتعليم والارشاد . والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة والاستاذ عبد السميع البطل وهما من خيرة العلماء المصريين فى الاخلاق والوعظ والتعليم تلك نبذ من كلام السيد فى رسائله الخاصة والعامة وطائفة من أخباره تدل على تمسه زكية همها الاصلاح باخلاص ولذا كان عزيزا كريما لم تدنسه الاطماع ولم تمله الاهواء . ولا يخاف إلا من الله عز وجل

كان السيد رشيد مدرسة فى كل وقت من أوقاته فى الدار وخارج الدار وقد أقمت معه فى داره ستا وعشرين سنة تلميذا وأمينا لسره وقلما يخلو مجلس من

مجالسه من الجد . أما الثانية والسبعين من عمره المبارك وهمته همة الشباب وقلما يضيع وقتا من أوقاته بدون عمل أو تفكير مهيء للعمل الطيب .

كان السيد رشيد رضا يستيقظ مبكرا قبل الفجر ويتوضأ ويتنفل بالصلاة و يتلو القرآن ثم يؤذن أذان الفجر من شرفة الدار ، ويوقف أهله للصلاة وكان يغلبه البكاء حينما يجهر بالقرآن ، ثم إن كان عنده ماتدعو الضرورة لانجازه من كتابته انصرف اليه أو يخرج للرياضة مشيا على الاقدام يسير بقوة ونشاط ويعود الى الدار بعد طلوع الشمس فان كان صائما أخذ بعمله الكتابي ويتقيل غالبا وينام مبكرا . وهو على كثرة تفكيره وكثرة سمنه فان نومه كان خفيفا وقلما يصيبه الارق .

بلغ مران السيد على التأليف والتصحيح أن يكتب فى أثناء محادثته مع الناس ولا تقطع المحادثة عند سلسلة فكره . وقد زاره مرة هندى من المتعلمين فى جامعة كبردج وقدم اليه عشرة أسئلة مكتوبة وسأله عن موعد العودة إلى دار المنار لاخذ الجواب عنها . فقال له السيد أذكر أسئلتك سؤالا سؤالا وكان العالم الهندى يذكر السؤال والسيد يجيبه حتى أتى على آخرها . والسيد لم يترك عمله تركا

كان السيد لا يراجع مايكتب فى التفسير الا من بعد أن يكتب فهمه فى الآية حذرا من تأثير أقوال المفسرين فى نفسه .

وكان يكتب أصول المنار فى أثناء أسفاره إلى الشام والاستانة والهند والجزيرة العربية وأوروبة من تفسير وغيره ويرسلها الى المطبعة فى مصر . وليس لديه مرجع من الكتب غالبا الا « المفردات » فى غريب القرآن للراغب . واذا أتاه الله فهما فى القرآن لم يسبق اليه أو لم يطلع عليه الا بعد كتابته من عنده فانه يتحدث به إلى اخوانه حامدا شاكرا . وقد يقصه على أهل بيته مغتبطا مسرورا .

كان السيد يدرك من أسرار السياسة وغوامضها مايقصر عنه كثير وزمن

المشتغلين بها . وآراؤه المنشورة فى عهد السلطان عبد الحميد والاتحاديين وفى أيام غيرهم مؤيدة لذلك . وقد تحمل الاذى فى سبيل نصحه إياهم وممن فيه رجال من اخوانه ، ثم تبين لهم بعد سنين ان رأيه هو الصواب وكتبوا منتقدين الذين كانوا يدافعون عنهم . فالسيد لغلبة الصدق و لاخلاص والصراحة عليه كان يصلح أن يستشار فى السياسة

إن انصراف السيد كل الانصراف الى التفكير والعمل فيا ينفع الناس صرفه عن استيفاء أساليب المجاملة فى التحية والتسليم عند المتحببين المتشوقين فالذين لايقدرون حياة الاختصاصيين الدائبين على التفكير فيما انصرفوا اليه كانوا يرمون السيد بماهو براء منه . ولو أن السيد جرى على سننهم واتبع أهواءهم لما وفق أن يخرج للناس تلك المؤلفات الممتازة بما انفرد به من التحقيق والتحرير وقد غبطه عليها أناس وحسده آخرون وجمعوا جموعهم مرات لنقدها وكان السيد يقول حينما يبلغه اجتماع العلماء لنقد المنار أرجوا أن يكون هذا تسخيرا من الله عز وجل لبر به المنار مما عسى أن يكون فيه من خطأ

فان اصاب النقاد نشرت لهم نقدهم وشكرت لهم صنيعهم

وللسيد قاعدة دعا اليها وجرى عليها وهى : أن نتعاون على ماتتفق عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما نختلف فيه ، وكان يسميها قاعدة المنار الذهبية

هذا ماوفقت لتسطيره ونشره من سيرة السيد الامام بمناسبة مرور أربعة أعوام على وفاته رحمه الله ورضى عنه — لعلها تشحذ أذهان الخاملين وتنبه أفكار الغافلين وتهدى الى الاخلاص أولئك العاملين وما التوفيق إلا بالله رب العالمين

القاهرة عبد الرحمن عاصم